

الثقافة

مجلة شهرية فكرية جامعة تصدر في دمشق

تأسست عام ١٩٥٨م -

شعبان ١٤٢٤ هـ

تشرين أول ٢٠٠٣ م

الثقافة

أدبية فكرية جامعة

تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

FONDATEUR ET REDACTEUR

EN CHEF DE LA REVUE AL

THAKAFA

ص . ب / ٢٥٧٠ /

هاتف : ٢٣٢٣٠٦١

دمشق

P.O. BOX: 2570

TEL_ FAX : 2320887

هيئة المستشارين :

د. عبد اللطيف اليونس

د. ابراهيم كيلاتي

د. أمين أسبر

د. عمر النص

د. سمر روجي الفيصل

أ. عبد الكريم ناصيف

أ. جابر خير بك

أ. عصام الحلبي

أ. نعمان حرب

أ. محمد خالد القطمة

أ. عيسى فتوح

أمانة التحرير : سكيينة عكاش الغبرة

شبكة كتب الشيعة



شعبان ١٤٢٤ هـ

تشرين أول ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

٣	يوسف عبد الأحد	مدحة عكاش
		الأديب والشاعر والصحفي
٦	أحمد شوحان	اللغة العربية وأثرها في المثاقفة
١٣	وداد عبد النور	يا زهرة القلب
١٤	أحمد مظهر سعدو	نحو مستقبل عربي أكثر إشراقاً
١٩	هايل محمد الطالب	سعاد الصباح صوت المرأة الثائر
٢٢	د. سعاد الصباح	قبلة..
٢٣	م. كمال راغب الجابي	الحس والشعور
		بين اليعفور واليخضور
٣١	مروان الخطيب	من المآثر الأدبية عند العرب
٣٣	حسان الصاري	وفتحت أروقة الكلام
٣٥	أ. عيسى فتوح	الشاعر المهجري سامي جبرين
٣٩	د. محمد جمال طحان	الغزالي
٤٧	د. محمد الحسوني	فرحة العمر
٥٠	د. عائشة عبد الرحمن	اللغة العربية وعلوم العصر
٥٧	أ. جابر خير بك	أجمل ما في الحب
٥٨	هالة الأسعد	الشباب العربي إلى أين؟؟
٦٠	ابن زيدون	خلع العذار

راند من رواد النهضة الأدبية، كرس
جل أوقاته في سبيل نشر الثقافة عبر مجلته.
ولد الأديب مدحة عكاش في درعا عام
١٩٢٣ بحكم وظيفة والده في السكك الحديدية،
فهو حموي مواطنة ودمشقي إقامة.

تلقى دراسته الابتدائية في مدينة
حمّاه، والإعدادي والثانوي في دمشق وحلب
ثم تابع دراسته الجامعية في كلية الحقوق ونال
إجازتها عام ١٩٥١.

درّس الأدب العربي في ثانويات
دمشق إلى جانب عمله الصحفي ثم عيّن مديراً
لكلية دمشق العربية وبعدها نقيباً للتعليم
الخاص في سوريا.

ترأس العديد من الجمعيات الأدبية
وهو عضو في لجنة الشعر في المجلس الأعلى
لرعاية الفنون والأدب، وعضو في اتحاد
الكتاب العرب.

كتب الشعر في سن مبكرة ونشر
العديد من قصائده ودراساته الأدبية في
الدوريات والصحف العربية، وبعد مرجعاً
لقواعد اللغة العربية وآدابها.

وفي عام ١٩٥٨ أصدر مجلة الثقافة
الشهرية وهي تعنى بشؤون الأدب والثقافة
والدراسات وصدر العدد الأول منها في شهر
أيسار وأصدر أعداداً خاصة عن كبار الشعراء
والأدباء العرب، نذكر منهم الشاعر القروي
والياس فرحات وعمر أبو ريشة وبدر الدين
الحامد وعن أدباء المملكة الأردنية الهاشمية
والمملكة العربية السعودية وعن الأدب في
القطر الجزائري وعن الحركة الأدبية في

مدحة عكاش

الأديب

والشاعر

والمفكر

بقلم:

يوسف عبد الأحد

الجماهيرية العربية الليبية وعن الأدب المهجري وغيرهم.

وفي منتصف الستينات وبالتحديد في ١٧ أيلول ١٩٦٦ تحولت المجلة الشهرية إلى مجلة (أسبوعية) وكانت تصدر كل يوم سبت باسم (الثقافة الأسبوعية) ثم عادت في عام ١٩٧٥ المجلة الشهرية إلى جانب الأسبوعية في الصدور ولا تزال المجلتان تصدران حتى يومنا هذا.

وفي عام ١٩٨٤ احتفل الأديب مدحة عكاش باليوبيل الفضي بمناسبة مرور ٢٥ خمس وعشرين سنة على صدور المجلة وأصدر عدداً خاصاً ضم بين دفتيه مجموعة كبيرة من الرسائل والكلمات والقصائد التي تلقاها من أصدقائه وكبار الأدباء والمفكرين والشعراء وجميعها تشيد بجهوده الكبيرة والمتواصلة التي بذلها في سبيل نشر الثقافة والأدب الرفيع من خلال مجلتيه.

ومما جاء في كلمة الأستاذ مدحة عكاش في عدد كانون الثاني ١٩٨٤ الخاص باليوبيل الفضي قال:

"ولعل ما نعتز به هو محاولتنا الأولى للقاء الأدباء العرب على امتداد أقطارهم على صفحات هذه المجلة فعدنا إلى إصدار أعدادنا الخاصة عن محافظات القطر أولاً وتجاوزنا ذلك إلى الأقطار العربية فعدت هذه الأعداد وثائق ترصد أدب العرب في هذه المرحلة من تاريخنا".

الأستاذة حنان نجمة كرّمت الأديب مدحة عكاش في صالونها الأدبي بتاريخ ٩/٦/١٩٩٠ خصصت الأمسية لتكريمه وقد قدمته بكلمة رقيقة قالت:

"إنها لغبطة لنا جميعاً أن نكرم في جلستنا اليوم صديقنا الغالي الأستاذ الكبير مدحة عكاش الذي لا أدري بماذا ألقبه، إنه أستاذ الأجيال، وفارس الثقافة، وذاكرة الوطن، وديوان العرب".

ثم ألقى الأديب يوسف عبد الأحد سيرة حياته وتاريخ المجلة، ثم تحدث الأستاذ شهير دريعي صديق الطفولة عن نشأة مدحة عكاش ومرحلة الدراسة ما بين أواخر الثلاثينات وحتى منتصف الأربعينات حيث كان مدحة على رأس المشاركين في الكفاح الوطني والمناسبات الأدبية رغم صغر سنه، حيث أن البذور الأدبية والشعرية كانت قد بدأت تتوضح لديه".

ثم قدم الأديب عبد المعين الملوحي مدحة عكاش من خلال عشر لوحات رائعة بلغته الأدبية الجميلة بين فيها القيم الرفيعة والخصال السامية في تعامله وتصرفاته، حيث كرّس قيم الصداقة الحقيقية والوطنية الصافية، إذ أنشد وهو في العشرين من عمره:

لا تقل أمتي أضلت خطاها

واستكانت للذل والبأساء

يشهد الله أننا ما بخلنا

بنفوس كريمة سمحاء

ثم ألقى كل من الشعراء: منذر لطفي، خضر الحمصي، جابر خير بك، سعيد قندججي، شوقي بغدادي، قصائد رائعة كانت هدية غالية لصديق غال حياً وتقديراً ووفاء.

ثم تحدث الأساتذة الأدباء حسين حموي وميخائيل عيد ووليد مدفعي، والدكتور حسام الخطيب عن خصاله الكريمة وتواضعه ومحبة الأصدقاء ومساندتهم وعن طريقة

نذكر منهم الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) والياس فرحات والمؤتمر الثالث لوزراء الإعلام العرب في دمشق عام ١٩٦٦، والشاعر بدر الدين الحامد والشاعر وجيه البارودي وخير الدين الزركلي والشاعر عمر أبو ريشة وقد بلغ مجموع الأعداد الخاصة حوالي المئة.

استمرت المجلة الشهرية سبع سنوات حتى شهر أيلول ١٩٦٦ ثم تحولت إلى أسبوعية وصدر العدد الأول في ١٧ أيلول ١٩٦٦ وبعدها استأنف إصدار المجلة الشهرية في عام ١٩٧٥ ولا تزال المجلتان الشهرية والأسبوعية تصدران بانتظام حتى تاريخه.

أعماله المطبوعة

- ١- ابن الرومي - دراسة - ١٩٤٨.
- ٢- رسائل الجاحظ - دمشق ١٩٦٦
- ٣- من روائع الأدب الأندلسي - دراسة ومختارات.
- ٤- القصائد الأولى - لبيتر تومبست - مترجم عن الإنكليزية.
- ٥- كتاب الثقافة - فصلية - صدر العدد الأول والثاني عام ١٩٧٠.
- ٦- بدوي الجبل - دراسة ومختارات ١٩٦٨.
- ٧- ديوان شعر (يا ليل) ١٩٨٠.

المخطوطات

- ١- أوراق عمر.
- ٢- صحيح اللغة.
- ٣- مجموعات قومية.

تدريسه في ترسيخ القيم النبيلة في نفوس طلابه في الثانوية الأهلية.

وفي الختام ارتجل الأستاذ مدحة كلمة لطيفة عبّر فيها لأصدقائه عن شكره العميق وامتنانه وتأثره لهذا التكريم النبيل الذي لقيه منهم في هذه الأمسية الرائعة.

نال جائزة جبران خليل جبران العالمية منحت لجنة رابطة إحياء التراث العربي في أستراليا برئاسة الأديب كامل المر جائزة جبران العالمية إلى الأديب مدحة عكاش تقديراً لشخصه وجهوده في نشر الثقافة وبخاصة الأدب المهجري عبر مجلته الأسبوعية والشهرية.

والجائزة عبارة عن ميدالية ذهبية ملونة معلقة بأشرطة حريرية بلون انعم العربي، ولوحة براءة من الرابطة مكتوبة بخط ذهبي جميل وبصورة جبران، وقد تأسست هذه الرابطة عام ١٩٨١ ومنحت هذه الجائزة لأكثر من خمسين شخصية أدبية وفكرية وفنية وعلمية في أستراليا والوطن العربي.

تاريخ مجلة الثقافة الشهرية والأسبوعية

أسس مجلة الثقافة الشهرية في شهر أيار سنة ١٩٥٨ وداراً للنشر وقد بلغ عدد الكتب التي نشرها ما ينوف عن ٤٠٠ كتاباً لأدباء سورية والأقطار العربية.

وفي عام ١٩٨٤ احتفل باليوبيل الفضي بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على صدور المجلة، وأصدر أعداداً خاصة وملفات عن عدد كبير من الأدباء والشعراء

اللغة

العربية

وأثرها

في

المناقشة

بقلم:

أحمد شوحان

تعتبر اللغة هي الوسيلة الفضل للتفاهم والتعبير على ما في نفس الإنسان من مشاعر وأحاسيس وأفكار نحو الآخر، وتتعدى الإنسان ليتقرب من خلالها إلى الحيوان والطير، للتعبير عما يريده منهما أو يكنه لهما.

ولغة الإنسان منذ كانت، وأنى وجدت تأخذ من غيرها، وترفد أخواتها وجاراتها بكلمات أو مصطلحات أو عبارات لا تزال تستعمل وتتداول على الألسنة وجيلاً بعد جيل. حتى تكون فيما بعد من مفرداتها التي تعتبرها من جذورها الأصلية.

واللغة تسابير الفكر الإنساني وتواكبه، فكما نجده متطوراً في شعب دون آخر، فإننا نجد لغته متطورة بهذا الفكر، وحيثما نجده متردياً في أمة أو شعب، فإننا نجد لغته متردية متخلفة ميتة.

واللغة الحية هي التي تأخذها من غيرها فتتأثر، وترفد اللغات الأخرى بمخزونها فتؤثر، أما اللغة التي ترفض الأخذ والعطاء، فهي لغة ميتة، أو في طريقها إلى الموات السبطي، ويقدر الكم الذي تأخذه اللغة من غيرها، وتقديره لمثيلاتها يتقرر حجم حيوية اللغة وقدرتها على البقاء، فالأخذ والعطاء من ضرورات اللغة، وبهما تتلاقح مع اللغات الأخرى للرقى والبقاء والازدهار.

وكما أن الجمود والتفوق في اللغة يضر ببنائها الداخلي، فكذلك التفوق في العلوم الأخرى يجعلها جامدة متحجرة، لا تزال تفقد من بنيانها كل يوم حجراً بعد حجر، حتى نجدها في النهاية تفقد الأسس التي ارتكزت عليها، وكانت تقف على قدميها من خلالها، ولذلك نجد الذين يتباكون على ضرورة المحافظة على جوهر اللغة ونقائه بعدم الأخذ من اللغات الأخرى يهدمون صرح اللغة من حيث لا يعلمون، وإذا كانت هذه الصيحات لها ما يبررها في عصور سابقة، فإن ثورة العلم في عصر المعلوماتية تجعل تلك المقولة

مرفوضة من أجل بقاء اللغة حيّة، فلو طوينا صفحة المفردات والمصطلحات العلمية الوافدة من الشرق والغرب، لرأينا أنفسنا نعيش في قوقعة مفرغة، بل لوجدنا أنفسنا نعيش خارج إطار التاريخ المعاصر، والحدثة التي لا بد من مواكبتها لضرورة البقاء.

والقرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فرغم أنه نزل بلغة العرب، وعلى نبي عربي الأصل واللسان، فإنه قد حوى ما ليس من أصل لغته، فلم نجد في تفاسير القرآن أحداً من الصحابة يستنكرها، أو يسأل عن معانيها، أو يستغرب وجودها في كتاب عربي مبين.

يقول الدكتور مسعود بوبو رحمه الله: (لغتنا العربية ليست بدعاً بين اللغات، فلم يكن أصحابها معزولين عن الاختلاط بالأقوام المجاورة لهم، ولا كانت هي بريئة من التأثير في اللغات أو نقيّة من التأثير بها. لقد أخذت من الإغريق بقدر ما أعطت اللاتين فداً بعد. وأخذت من الأنباط والسريان ثم أعطتهم حذراً. أضمحلت لغتهم أمامها تدريجياً، وأخذت من الفرس قبل زمن الأكاسرة، وقبل أن تكون الحيرة مملكة المنادرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم، ووصلها اليمن القديم السعيد بلغات الأحباش والهنود والصينيين، بفضل الموقع الجغرافي التجاري الذي كان صلة الوصل بين العرب والأمم القديمة، وبين الشرق والغرب).

إذاً نستطيع أن نقول: إن الدخيل على اللغة (آية لغة) هو نعمة يدفعها نحو التقدم والازدهار، وليس كما يظن البعض أنه يهدم بنيانها، ويشوّه جمالها، ويزعزع أصلاتها!!

قدسية اللغة العربية

إن القبائل العربية لم تكن تقطن مكاناً واحداً، أو تقيم في رقعة محدّدة لتحافظ على لغتها كغلب، وبكر بن وائل، وتميم، وقيس،

ولكنها كانت تتجول أو تهاجر، وتتنقّل صيفاً وشتاءً بحثاً عن الاستقرار الذي تحقق من خلاله الحياة الرغيدة، فتأخذ من لغات (لهجات) القبائل التي تحتك بها وتخالطها شيئاً من لغتها، وبالمقابل فإن العربية قدّمت للشعوب والأمم التي دخلها المسلمون في عصر الفتوحات لغتها، وأخذت من لغات تلك الشعوب، والدليل على ذلك أننا نجد لكلمة (السيف) عشرات الألفاظ والصفات، وكذلك لكلمة (الأسد) وغيرها من الألفاظ، وهذه الكثرة لا تخلو من دخيل أو معرّب.

ويبقى القرآن الكريم هو كتاب العرب الأول، فهمه أقحاح العرب، ولم ينكروا شيئاً منه، ولم يجهله أحد منهم، فيسأل غيره عن معناه.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكن الإمساك أولى به، فقد قال قائل منهم: في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآن يدل أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب).

وقال الإمام الزركشي: (إعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب، فلا تجوز قراءته إلا بها، لقوله تعالى: ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً)). وقوله: ((ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...)). وهذا يدل على أنه ليس فيه غير عربي، لأن الله جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدى العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بأياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة).

ولو لم تكن تلك الكلمات القليلة المستعربة في القرآن مألوفة ومتداولة بين العرب حين نزل القرآن الكريم، لوجد فيها المشركون وأعداء الرسالة الجديدة مطعناً للتشكيك في مصداقية القرآن الكريم الذي نزلت فيه آية ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم

وكنانة.. ومن غير العربية الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقيط)

ومن يقرأ كتابه (الإتقان في علوم القرآن) يجد قوائم طويلة من لغات هؤلاء الأقوام والأمم في القرآن الكريم الذي جاء وصفه فيه: ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً))

وجاء الزركشي المعاصر للسيوطي فجاء بمثل ما جاء به سلفه فيما يتعلق في الكلمات الأعجمية والعربية.

من هنا ندرك أن اللغة العربية قبلت الدخيل والمعرب منذ ما قبل الإسلام، فقد قبلت كلمات كثيرة وأفدة إليها فاستعملتها، وصهرتها في بينتها، ونطقت بها في لغتها، ولم ينكر أحد ذلك البتة، بل رأينا هذه الكلمات القليلة تدفع اللغة العربية نحو الأفضل في النطق والإتشاء، والحديث والمسامرة، فقد استعملها الشعراء في الجاهلية، وأدخلوها في قصائدهم، وتداولوها في مندياتهم وأسواقهم.

الثقافة العربية.. الفارسية

لم تشهد اللغة العربية أخذاً وعطاءً من وإلى لغة أخرى كما شهدت مع اللغة الفارسية، سواء قبل الإسلام أو بعده، فقد كان للتجار دور بارز في ذلك، كما كان للعلاقات الوطيدة بين الأمتين شأن كبير، وقد أثمر هذا التواصل والتثاقف إلى مزج الثقافتين بالصيغة الإسلامية، ونقلها عن لغتها إلى معظم اللغات الأخرى، حتى شهدنا عدداً كبيراً من العلماء الذين خلفوا في فارس وعاشوا فيها، وكتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية ينحدرون من أصل عربي.

واستمرت هذه المؤاخاة العربية الفارسية قروناً، لا تكدرها شائبة، ولكنها في القرن العشرين فسترت بسبب الظروف السياسية، وبسبب الاستعمار الذي أدار وجه

تَعَقُّلُونَ)) ولقالوا: إن فيه كلمات غير عربية، ولأجتهدوا في البحث عن أصول كل كلمة غير عربية فيه، لتكذيب رسول الله ﷺ، وهم أهل البلاغة والبيان والفصاحة، وإليهم تشد الرحال لحل عويص الشعر، ومعاني الحكم، والمسائل اللغوية النادرة!!

الدخيل والمعرب في اللغة

تحدث اللغويون عن الدخيل إلى لغتنا العربية فقالوا: (الدخيل: هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير، والفرق بينه وبين المعرب أن المعرب قد غير صيغته في الغالب بالزيادة أو النقص، أو بتغيير الحركات، وأدخلوه في لغتهم).

وقالوا عن المعرب: (المعرب: لفظ مفترض من اللغات الأجنبية، وضع في الصيغ والقوالب العربية).

وقال الجوهري في الصحاح: (وتعريب الاسم الأعجمي أن تستوفه به العرب على منهاجها).

والمنهاج في اللغة: هو الطريق الذي يختاره الإنسان للوصول إلى هدفه، فلولا الحاجة والضرورة ما استعمل أحد لغة غيره، أو مصطلحات غيره.

يقول الإمام السيوطي: (وأقوى ما رأيت له لوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير عن أبي مسرة التابعي الجليل قال: (في القرآن من كل لسان).

ولعل أبا مسرة يقصد ألسنة العرب في قبائلهم المنتثرة، أو الأقوام والأمم التي تحيط ببلاد العرب حين نزول القرآن.

ويقول أيضاً: (والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم، من الروم والفرس والحبشة شيء كثير).

ويقول في مكان آخر: (في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل

العرب نحو أوروبا المتطورة علمياً وصناعياً، كما أدار وجه الفرس لنفس السبب، وبسبب العداء الذي نشب بين العرب والفرس نحو إقليم عريستان الذي ضمته إيران إلى أراضيها بالقوة، وضم الجزر العربية الأربع إليها، وسوء إدارة أسرة بهلوي البائدة نحو العرب وارتمانها في أحضان الغرب.

إن السانح العربي لا يحتاج إلى ترجمان في الشارع الإيراني، لكثرة المفردات العربية في اللغة الإيرانية، والتي قد تصل إلى ستين من مئة من اللغة الفارسية، ولتعميم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم، فجاءت المؤلفات الفارسية مطرزة بالحرف العربي، ويأتي في مقدمتها دواوين الشيرازيين حافظ وسعدي، وشاهنامه الفردوسي، هذا الكتاب الذي يعتز به الفرس أيما اعتزاز، وقد ضمته مؤلفه مئات الكلمات العربية رغم أن الفردوسي أراد في كتاباته تخليد لغة فارس وتاريخها.

يقول الباحث العراقي إبراهيم السامرائي: (ألم يأتنا نبأ الشاعر الفردوسي الذي عاش في حقبة شَرَف فيها الفرس أن يعودوا إلى أمجادهم التي زعموا أن الإسلام قد قضى عليها، فنظم ملحمة (الشاهنامه) لهذا الغرض، ثم عاد ليرى ما فيها من العربية التي اجتهد أن يستبعدا من صنعته ما وسعه ذلك، فكان أن وجد فيها صنع منآت عدة من الألفاظ العربية، فسخط وصرخ قائلاً: (تَفْ عليك أيها الفلّك الدوّار).

وهذا ما جعل الفردوسي يصاب بخيبة أمل من تنقية اللغة الفارسية من العربية التي تأصلت فيها، وأفقدتها البديل عنها، فذهبت اللغة الفارسية المسمارية القديمة هباء تذرورها الرياح أمام عمق اللغة العربية وبلاغتها التي حمل مشعلها سببويه الفارسي والخليل بن أحمد الفراهيدي العربي، وأضاء إعجازها عبد القادر الجرجاني في كتابيه (أسرار العربية و

دلائل الإعجاز) وملاً مؤلفاته بها الإمام الغزالي رحمه الله.

ولم يقف التثاقف العربي الفارسي عند اللغة، بل زحف إلى سائر أبواب الفكر والمعرفة، والعلوم التجريبية، والحديث والتفسير والفقه، فكان الغزالي والرازي وأضرابهما في كل مدينة فارسية يكتبون باللغة العربية، ويتتقنون بثقافتها الواسعة، مما جعل الثقافتين تكادان أن تكونا ثقافة واحدة، وتخرج من مشكاة واحدة.

وليس من الركائز في شيء أن يضمّن كاتب أو شاعر عربي كتاباته بعض الكلمات الفارسية الأصل، طالما أن هذه الكلمات دخلت العربية وغرّبت، وتداولتها أعلام العلماء وألسنتهم، ودخلت قواميس لغتهم، ولا يضير العربي ما دخلها من لغة فارس، طالما أنها اقتبست من اللغات الأخرى ما يزيد نطقها وضوحاً، وبلاغتها شمولية، حين نزل القرآن الكريم وفيه كثير من الكلمات الأعجمية المستعربة من فارسية، وسريانية، ونبطية، وزنجية، ويونانية، ورومية وقبطية ومغربية قديمة (بربرية)، ويبقى كتابا (الإتقان في علم القرآن) للسيوطي و (البرهان في علوم القرآن) للزركشي خير شاهدين لقبول اللغة العربية شيئاً من اللغات الأخرى.

وما أكثر الكلمات الفارسية التي غرّبت ودخلت معاجم اللغة العربية، بل أصبحت عربية يكتب بها الأدباء والعلماء والشعراء، وخاصة أسماء الأدوات والآلات، وأسماء النباتات والحيوان.

لقد تعقب الدكتور إبراهيم السامرائي الكلمات الفارسية التي غرّبت فدخلت المعاجم وهي: (المعرب) لابن الجواليقي، و (المعيار) لسميرزا محمد علي الشيرازي، و(الألفاظ الفارسية المعربة) لأبي شير، فبلغ عددها (٣١) كلمة، بينما ذكر أن الفرس أخذوا عن العربية (١٤٢٩) كلمة عربية تنطق بالفكر

والمعرفة والثقافة والمعارف العامة من أدب وفن وفلسفة، وما يتصل بعامة علوم الإسلام ولم يقتصروا على هذا كله، بل تجاوزوه إلى ألفاظ تتصل بالحياة العامة).

وقد لعبت الترجمة دوراً بارزاً في نقل العديد من الكتب الفارسية إلى العربية، وخاصة الكتب التي غنيت بالأدب والحكمة والتاريخ، وكان أشهر المترجمين جبلة بن سالم وعبد الله بن المقفع، وغيرهما ممن نجعل أسماءهم، لكننا بعد سقوط بغداد لم نجد تلك النظرة الجديدة للأدب الفارسي، وحتى في العصر الحديث نجد شبه غياب للأدب الفارسي في المكتبات العربية.

الثقافة العربية.. والتركية

بقيت الثقافة التركية أربعة قرون في البلاد العربية ثقافة من الدرجة الثانية رغم أن الأتراك حكموا أغلب الوطن العربي، واستطاع الأتراك أن يبسطوا نفوذهم في ثلاث قارات، ورغم هذه المدة الطويلة لم تدخل العربية أكثر من مائة كلمة تركية. بعضها دخل المعاجم، وبعضها انقرض قبل أن يعرب، علماً أن بعض تلك المفردات انحدرت من أصل فارسي، أخذها الأتراك عنهم ونقلوها إلى العرب وغيرهم في دولة الخلافة. وهذه الكلمات القليلة لا تذكر إذا ما قيست إلى المدة الطويلة التي حكم خلالها الأتراك العرب، لكننا حين نبحث في القواميس التركية نجد أن الحرف العربي بقي قروناً في هذه الدولة هو الحرف الرسمي للدولة والسلطان نفسه، وأن اللغة التركية كانت متفهمة في مهدها، لكن الكارثة وقعت في تركيا حين قام مصطفى كمال أتاتورك بإتلافه العسكري ففقد بالحرف العربي بعيداً، وأنهى العمل بالشريعة الإسلامية، ومنع التقاليد الشعبية في اللباس والزي للمرأة والرجل، وجاء بالحرف اللاتيني فمسح به دولته التي

أصبحت عالمة على الغرب، ترتبط به، وتعيش على بقايا فضلاته، رغم أن الأتراك من المسلمين الذي لا يرضون بكل ما جاء به الانقلابيون العلمانيون، وكانت النتيجة أن دخلت العربية بمفرداتها الغزيرة إلى قواميس اللغة التركية بكثرة كثرة إذا بلغت (٤٤٧٦) كلمة.

فهل يضير اللغة العربية أن دخلتها كلمات غير عربية قبل الإسلام فاستعربت وانصهرت في العربية ثم نزل القرآن الكريم فنالت شرف التنزيل وغيرها. بينما ننسى (أن) الدخيل في الفارسية والتركية ثروة كبيرة لا يمكن أن نوازنها بما في العربية من كلم قديم ورد في لغة التنزيل وغيرها، وما ورد في الألسن الدارجة مستعاراً من هاتين اللغتين!!

من هنا تبرز عبقرية اللغة العربية التي تتناقص مع غيرها فتعطي الكثير، وتعني المستعير منها بلا حساب، بينما تأخذ من غيرها ما تسد به رمقها عند الحاجة.

التناقض العربي.. الأوروبي

كان للعرب دور كبير في الثقافة الأوروبية في القرون الوسطى، التي كانت تتخبط خلالها أوروبا، بينما كان العرب يعيشون عصورهم الذهبية في كافة مراقي الحياة.

وكانت الأندلس بوابة أوروبا التي دخل منها العرب، ومنها عبرت جحافل الحضارة العربية، تحمل مشعل الفكر والثقافة والمعرفة، لتسير الطريق لغيرها كما أنارتها للعرب في وطنهم الكبير، ونعمت الأندلس بهذه النهضة الفكرية التي لم تعهد مثلاً من قبل، فبلغت القمة في عصرها الإسلامي ومدّت نراعتها إلى سائر الممالك الأوروبية لتقدم لهم جهود العرب في نشر الثقافة اليونانية والفارسية والهندية، وقد أخرجوها بقالب

عربي يحسدون عليه فتأثرت أوروبا بذلك، لكن الدولة التي كان لها قصب السبق في الأخذ عن العرب والعربية بعد الأندلس هي فرنسا، إذ دخلت المفردات العربية في المعاجم الفرنسية، واستطاع الفرنسيون أن يشتقوا للكلمة العربية الواحدة عشرات الكلمات التي أغنوا بها لغتهم، وخاصة تلك الكلمات التي تتعلق بالطعام والشراب والدواء والفلك، وأن يعيدوا إلينا كلماتهم المتفرنسة من أصل عربي في ثوب جديد، فتدخل حياتنا اليومية وكأنها فرنسية الأصل، غربية المنبت، نتداولها في نوادينا، ونقرأها في معاجمنا على أنها غربية غريبة عنا، وهي في الأصل من بنات الضاد المهاجر من وطنه، والعائد إليه في لسان آخر، أذكر على سبيل المثال لا الحصر: الكحول، المومياء، الليك، اللوغاريم..

لقد دخلت المعاجم الفرنسية (٧٩٥) كلمة عربية، بينما لم تدخل معاجمنا العربية (١٠٠) كلمة فرنسية، ومع ذلك نشكو ونتذمر من الاستعمار الفرنسي الذي جثم فوق أراضي سورية ربع قرن، بينما جثم فوق الجزائر قرناً وثلاث قرن.

ودخلت عشرات بل مئات المفردات العربية في كل من اللغات الإيطالية والألمانية والإنكليزية والبرتغالية والإسبانية والصلقية، ولا تزال هذه الكلمات في معاجمهم، أو على واجهات قصورهم، أو في شاهدهات قبورهم تنطق بالحرف العربي، ومن يقرأ كتاب (العربية المهاجرة) سيدج لغتنا العربية فيه طيارة، تنتقل سريعاً إلى اللغات الأخرى، والشعوب القريبة والبعيدة، وأن تراثنا العربي حين ينتقل من وطنه يُقابَل بالترحاب، ويُعانق بالأحضان لغناه وشروته في كل جانب، لكنه على حين غرة نقل قسراً إلى أوروبا، وسُجِن في رفوف وخزائن كتبها حين تسللت الإرساليات المنظمة، والبعثات المتخصصة، والمؤسسات الدينية التي يشرف عليها ملوك

أوروبا منذ نحو ألف عام، ليستفيد الغرب من عصارته، ويشرب من ماء حياته الذي نضب أو كاد في موطنه، لظروف سياسية واجتماعية قاهرة، ولتبني أوروبا على مضمونه نهضتها وثورتها الفكرية والثقافية والعلمية، وأصبحت المخطوطات العربية ذخائر رائعة، تنطق بالحياة، وتعم بالأمن والحماية في مكتبات الفاتيكان وروما ولندن وباريس ومدريد وميونخ وموسكو وغيرها.. وأصبح من المستحيل نقلها وإعادة تراثها إلى موطنها الأصلي، أو حتى تصويرها للاستفادة منها بالنسبة للباحث العربي الذي يريد إحياء ونشر إرثه الثقافي الذي خلفه له أجداده ففقده، وأصبح من ممتلكات غيره.

وبعد انتقال هذا التراث الرائع، وتقدير الغرب لمحتواه، افتتح الجامعات العربية في بلاده، وإنهمك في ترجمة تلك المخطوطات، وتحقيقها، ونشرها في لغته ولغتها (وما تصرّم القرن الخامس عشر حتى بلغ عدد الجامعات في إسبانيا ست عشرة جامعة تعلم العربية.

وكانت في القرن الحادي عشر الميلادي قد أنشئت جامعة (سالرنو) في إيطاليا، فسيطر عليها الفكر العربي مدة قرنين، وقامت بعد ذلك جامعة (بالرمو) وجامعة (مون بلييه) ثم جامعة (باريس) وبولونيا وأوكسفورد وببادو وغيرها، وكلها كانت تدرّس العربية، فأوجدت في الغرب ثورة فكرية هائلة، كانت هي الأساس في يقظة الفكر الأوروبي الذي عمّ العالم.

ويذكر مؤلف كتاب (العربية المهاجرة) أن ملوك أوروبا كانوا حريصين على معرفة العربية وتعليمها ونشرها، فالملك روجيه الثاني ملك صقلية (١١٠١ - ١١٥٤م) كان مثقفاً ثقافة عربية، واستدعى إلى بلاطه عدداً من علماء المسلمين.

وجاء بعده غليوم الأول فجعل من اللغة العربية لغة رسمية في بلاطه. وكذلك

الأوروبية، وأن السلفة العربية دخلت معاجم اللغات الأوروبية جميعها منذ قرون خلت.

أما في القرون المتأخرة فإن النهضة الأوروبية غمرت العالم بأسره، بينما تراجعت الثقافة العربية، وعاشت عصر الخمول والصمت، لانبهارها بالحضارة الغربية، بل نجدها في النصف الثاني من القرن العشرين تتحرك نحو الأفضل فتكثر على طول الشوارع العربي البعثات العلمية المختلفة للدراسة في الجامعات والأكاديميات الأوروبية والأمريكية، بل نجد لأسباب اجتماعية وسياسية في الوطن العربي هجرة الأدمغة العربية وازدهارها. وتراجع الثقافة العربية، وحركتها الفكرة خطوات إلى الوراء، الأمر الذي جعل العرب يخوضون في أحوال التخلف والجري خلف (سراب) الدول المتقدمة في كل شيء للتخلص من أدران التخلف والجهل، مما جعل الثقافة الغربية تغزو العربية في عقر دارها، فدخلت جميع المصطلحات العلمية الغربية حديثاً، معاجم السلفة العربية، وراحت مجامع اللغة العربية تبذل جهوداً لتعريب الوافد، والبحث عن بديل له في موروثنا اللغوي لحمايته من التصدع والانهيار، كما يزعم المحافظون المتعصبون.

وظهرت معاجم حديثة لم تكن معروفة في العربية من قبل مثل: المعاجم الطبية المختلفة، والهندسية، والمصطلحات الالكترونية، والدراسات الفضائية المترجمة، والمؤلفات التي تعالج البيئة، والتلوث، والتصحر، والاستعمار والاستشعار عن بُعد، والتصوير الجيولوجي الفضائي وغير ذلك مما انفرد به الغرب في نهضته، لكن علومه زحفت إلى غيره جافة من غير تفعيل أو ممارسة، فأصبحت نظرية جامدة في البلاد العربية، بينما تنطق بالحياة في بلاد الغرب.

إن الاحتكاك مع الآخر يؤدي إلى التثاقف، وهذا ما يجعل الأمم المتثقفة تنطق بالحياة، لتدوم لها الحياة.

كان غليوم الثاني (١١٦٦ - ١١٨٩). وألفونس الثالث أمير قشتالة (١١٥٨ - ١٢١٤) جميع إليه عدداً من المترجمين العرب، ورفيقاً من الفرنج العارفين بالعربية، فترجموا له ما يزيد عن ثلاثمائة مخطوطة. وأمير النمسا فريدريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠م) الذي وهب لجامعة بولونيا كثيراً من المخطوطات العربية، وكان حريصاً على تعليم العربية فيها في جميع الفروع. وأنشأ ملوك فرنسا وإسبانيا معاهد لتعليم العربية منذ أواسط القرن الثالث عشر الميلادي.

واهتم بابوات أوروبا بالسلفة العربية دراسة وتدریسا، ولتيسير نشر اللغة العربية أنشأ البابا لاون العاشر سنة (١٥١٤م) أول مطبعة عربية، وهي المطبعة التي كان سلفه يوليوس الثاني قد أسسها في مدينة خانو على ساحل بحر الأدرياتيك.

لا بدع إذا أن تكون لغات أوروبا قد انبثت فيها الألفاظ العربية، ودخلت في معجماتها، وصارت جزءاً منها. وهذا ما يجعل الفكر العربي يرفع رأسه اعتزازاً لتنوير الأفكار الأخرى التي استطاعت أن تأخذ منه ما تستفيد منها وما يناسبها، فتأخذ من هذا الجديد الوافد، وتفعّله، وتطورّه، وتستفيد منه كحجر أساس في مركاتز النهضة الأوروبية.

وتأتي المستشرقة الألمانية زيفريد هونكة بكتابها الرائع (شمس العرب تسطع على الغرب) فتجعل افتتاحية كتابها تلك الكلمات العربية التي يستعملها الألمان في حياتهم اليومية، وفي مدارسهم وجامعاتهم، ومختبراتهم ومراكز أبحاثهم العلمية، وتشهد بحق الثقافة العربية أنها كانت صاحبة السبق في النهضة الأوروبية، وأنها قدّمت لأوروبا فأفادتها أكثر مما استفادت منها فيما بعد، وتشير هذه المستشرقة المنصفة أن العلوم العربية التي انتقلت إلى أوروبا عن طريق الأندلس هي التي أرسست صرح النهضة



يا زهرة القلب

شعر: وداد عبد النور

من أي بذرٍ جنّينا يا زهرة القلب النديّة؟
يا طفلة فرشت لها الأكباد والمهراج الوفيّة
هل أنت من سرب الملائك في المدارات القصيّة؟
أم مهرجان من أفنان الملاحات السنيّة؟
لو كنت صفيحة عمري بالبشر والنعيم السخيّة
وسكنت نبض جوارحي وأعدت للقلب الهويّة
ولهي ألوذ بمنجم الفيروز في المقبل النكريّة
بسبائك الذهب المدلّ فوق جبهتها النقيّة
فمرّ يطوف بخاطري منذ الصباح إلى العشيّة
عمري وقلبي والهوى فدى لعينيك هديّة
أهلاً بمنحة خالق جُلّ العطاء كما العطيّة



بعد انقضاء كل هذه الفترة على انهيار
الاتحاد السوفيتي، وبعد أن أفلتت الحرب الباردة
واستفردت الولايات المتحدة الأميركية بالعالم
أجمع، فراحت ترسم خرائط جديد وقزمة لعالم
تريده هي تحت السيطرة، ورهن الانقياد، بعد
كل ذلك وهذه الانهيارات الكبرى، كان لا بد من
مراجعة نقدية للواقع العربي ضمن المتغيرات
العالمية بأفاق لمستقبل عربي أكثر إشراقاً،
ومن هنا يمكن القول أنه..

ليست الاشتراكية التي انهزمت أو
انهارت، وإنما نمط معين من البناء والعمل
الاشتراكي، قد ثبت فشله على الصعيد العملي،
حيث أقام نظام رأسمالية الدولة، ولم يترك
للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية أن تتطور
على صعيد المجتمع بشكل موضوعي في
الاتجاه الاشتراكي، فالنمط غير الديمقراطي
الذي سارت على أساسه الكتلة الاشتراكية قد
تفوق النظام الآخر عليه دون أن يعني ذلك أن
ذاك النظام الآخر (الرأسمالي) لم يعد السبب
الأساسي لمصائب البشرية، وكل المآخذ التي
كانت عليه يوماً ما تزال قائمة، وتعاني منها
الإنسانية جمعاء في العراق وكوسوف
وسواهما، وإذا كانت (المركزية الديمقراطية)
إحدى المبادئ التي ساهمت في فشل النمط
الاشتراكي فهي ليست بالضرورة المشجب
الذي يعلق عليه كل شيء، فحركة التطور
الإنساني اليوم تطرح الطريق الديمقراطي

نمو

مستقبل

عربي

أكثر إشراقاً

بقلم:

أحمد مظهر سعدو

طريق الثورة القومية الديمقراطية في مواجهة
أزمات النظام الرأسمالي، وما أتى به من
كوارث على العالم، وكذلك من مواجهة
المشاكل الاجتماعية التي تولدت عنه فهي
تطرح ضرورة فكر اشتراكي جديد يختلف
بأدواته عن كل الأدوات والأنظمة كالتى قامت
في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي.

كما يتميز عن المحاولات التي حاولت
أن تحاكي (تجربة الاتحاد السوفيتي) في العالم
الثالث فاتخذت شكلاً (صوريا) بدون أن تملك
حتى المقومات التي ملكتها دول أوروبا
الشرقية. فتوقفت عند مرحلة ما قبل هذه
المجتمعات الديمقراطية والمجتمعات
البرجوازية والرأسمالية. إن سقوط الأنظمة
الاشتراكية في حلبة الصراع مع النظام
الرأسمالي لا يلغي مطلقاً المنجزات العظيمة
التي أعطتها الثورة البلشفية، وثورة الصين،
كما أنه لا ينهي بالضرورة كل المبادئ
والمفاهيم التي جاءت بها هذه التجارب بقدر
ما يحفز على تطويرها وتجاوز تطبيقاتها بما
يخدم المصالح الحيوية للبشر، على أسس
ديمقراطية منفتحة، ديمقراطية كل الشعب، من
يغر أن تكون محكومة بديمقراطية رأسمالية
يسود فيها المال بسلطته وتحكمه.

إن القوى السياسية التي أمسكت
بالتجربة الاشتراكية ممثلة بالأحزاب الشيوعية
لتفرض نفسها في قمة السلطة فاعتبرت ذاتها

ممثلة للقوى الاجتماعية، العمال والفلاحين؟
وقدمت ديكتاتوريتها باسم هذه القوى، قد
عمدت إلى ذلك لأنها لم تنجز الثورة
الديمقراطية كثورة ليبرالية تقيم علاقات،
وتحقق فعلياً الوجود الشعبي، والإرادات
والمصالح الشعبية فتحوّلت إلى سلطات بدل أن
تتحول إلى نظام ادعت أنها جاءت لتنجزه
(النظام الاجتماعي الاشتراكي الديمقراطي)

إن أية محاولة للعبور نحو المستقبل
اليوم لا بد لها من مراجعة واسعة للنفس،
ومن تخلص عن الصياغات الستالينية المتجمدة
التي شكلت، مجتمعة، جملة من الأسباب التي
فعلت سلباً بحركة التحرر العالمي، والعربي
فمراجعة جدية وصادقة كفيّة أن تدفع
بالعمل نحو الأمام وأن تتجاوز الرؤوس التي
علاها الصدا منذ أمد، ولم تعد قادرة على
التغير أو قيادة الآخرين، وليس عيباً ولا معيلاً
لأي عمل سياسي منظم أن يسمح لكل فرد
مهما اختلف برأيه عن الآخرين، أن يعبر عن
رأيه بصوت عال، ولا يصح في النتيجة إلا
الصحيح، فتعدد الآراء يغني ولا يفقر، يدعم
ولا يهدد.

إن نظرة استقصائية سريعة للبيئة
التنظيمية للأحزاب الشيوعية العربية وحتى
التي تسمى نفسها بالعمالية، تجعلنا نخرج
بنتيجة مفادها: إن العمال هم أبعد ما يكون عن
هذه الأحزاب (إلا ما رحم ربي) هذا إذا اعتبرنا

أن هناك تبلوراً تطبيقياً ما، ضمن التركيبة المجتمعية العربية، فالتجارب الاشتراكية العالمية التي جاءت باسم (ديكتاتورية البروليتاريا) هي نماذج مضت وجاءت في ظروف تاريخية، وضمن خصوصية مجتمعية تختلف عن خصوصية واقعنا العربي، كما أنه قد توضح اليوم وبعد كل ما حصل من متغيرات عالمية أن هناك معطيات فكرية وسياسية جديدة، وتشهد السنوات الأخيرة انطلاقات جديدة بالفكر الإنساني الديمقراطي العالمي ومحاولات عديدة لاستيعاب متغيرات العصر بدءاً من نقد الظروف والعوامل والإيديولوجيات التي تسلب حرية البشر وتقيدهم وانتهاء بنقد سيطرة طبقة ما أية طبقة مهما علا شأنها على سائر طبقات وشرائح المجتمع وبتجاه الانفتاح على قطاعات واسعة من الناس تتلاقى مصالحهم وعلاقاتهم على أرضية واحدة ويتطلعون نحو أهداف واحدة أو متقاربة ليشكلوا تلك الكتلة التاريخية العريضة وذلك التحالف الشعبي الكبير (تحالف قوى الشعب العامل) كما طرحها يوماً جمال عبد الناصر، ضمن القبول بالتعددية التي أصبحت اليوم وأكثر من أي وقت مضى ضرورة ومخرجاً (أن تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعي لتحالف الإقطاع مع رأس المال المستغل وهو القادر على إحلال الديمقراطية السليمة محل

ديمقراطية الرجعية) وعندما تتكون القوى والأحزاب على أساس هذا التحالف تتحقق الوحدة الوطنية داخل الحزب ليمثل كل الفئات الكادحة كأغلبية حقيقية تعبر عن الشارع بصدق، فتعيد بناء صياغاتها وبرامج عملها وهي تبني قاعدتها الاجتماعية والسياسية وحلفها الطبقي التاريخي (تحالف قوى الشعب العامل) ومن أجل ذلك الوفاق التاريخي الذي يظل الجميع وعلى أساس القبول بالآخر مهما كان الاختلاف معه.

إن القوى التي مازالت ترفض مبدأ تعدد الآراء وليس بالضرورة أن تتشكل هذه الآراء كمنابر مستقلة عن بعضها، تعاني ضعفاً بنيوياً لإشغاء هذه، وهي قاصرة عن مجابهة التحديات الداخلية والخارجية، ولذلك فإن مطلب التحول إلى الديمقراطية المنعقدة من كل القيود - في هذه المرحلة - أصبح مطلباً مصيرياً، وهو يطالب الجميع بالعودة بزواتهم إلى ساحة العمل الديمقراطي الحقيقي وبناء مؤسساته على أسس ديمقراطية محققة لآماله، ومقنعة بأن تعدد الآراء لا يفكك البنية الحزبية بل يزيدها تماسكاً بنيوياً لا ظاهرياً.

إن انسداد المداخل الديمقراطية للتغيير لدى بعض القوى هو إسداد لكل طريق للنهوض الوطني والقومي وتلك القسرية الطويلة الأمد، ترد وبالتأكيد إلى مواقع وروابط وعصبية ما قبل وطنية وقومية وتهدد بردود

فوضوية وإرهابية وبتمزقات داخلية، وتظل هذه القصرية بما تشكله في النفوس متوعة ومعلقة تنتظر نقطة الضعف لتنفيذ منها ما دام هناك انسداد في وجه التغير الديمقراطي وما طال هذا الانسداد.

إن النهج القومي الديمقراطي في التفكير والممارسة دفعا على طريق التحرر والوحدة وإقامة الكيان الموحد للأمة كدولة موحدة، ودولة حق وقانون حديثة، والمشروع الحضاري للنهوض، والتقدم، والمهمات التي تطرح من خلالها ما تبقى مآل الأمة للخروج من عثارها، ولتحرير قوى الأمة وإطلاق إرادتها الحرة ومبادراتها من داخلها ولن تكون التوجهات القمعية الحابسة لإرادة البشر، وحریتهم، سوى إضافة لذلك العثار الذي نعيش.

إن ما يطرح نفسه اليوم وبالإحاح شديد هو مسألة الوحدة الوطنية الديمقراطية وصولاً إلى الجبهة العريضة، وعلى الجميع أن يسعى لإيجاد الإطار الناظم للقوى الوطنية الديمقراطية منطلقاً من اعتبار ذاتي مؤداه: إنه فصل من فصائل قوى الثورة القومية الديمقراطية وليس ممثلاً لكل الشعب إذا لم يعد أحد يملك هذه الميزة ولم يملكها في السابق أحد قط، وأن الجبهة الوطنية الموحدة مقدمة لا بد منها للجبهة القومية العريضة، وأن مسألة الوحدة القومية مسألة راهنة ومباشرة

ولا تحتل التأجيل، بغض النظر عن الصياغات المطروحة، وهذا يطرح نفسه اليوم بمراجعة لتجربة الماضي، ورسم خطة عمل للمستقبل واختيار قيادات تتوافق ومتغيرات الواقع العربي الراهن وتستوعب متغيرات العالم التي حصلت لتستطيع مواكبة العمل بأفق جديد يعترف بالآخر ويفتح عليه، فأني نهج اليوم يجب أن يؤلف بين حركة القوى والطلائع القومية والثقافية والسياسية والمبعثرة هنا وهناك والتي تسعى إلى أهداف مشتركة وطنية وقومية وديمقراطية تتحالف وتنظم وتلتقي كأجزاء لكل يراد له أن يستكمل، ولا بد من أن يعرف كل جزء حدود إمكانياته وكيف يوظف هذه الإمكانيات وكيف ينميها وكيف يبتكر أساليب جديدة لمواجهة العقبات التي تعترض السبيل للخروج من هذا الوضع الذي نحن فيه حيث الكل مسؤول فيه بقدر.

وإذا كان المطلوب على الصعيد الإيديولوجي أن تميز قوى الأمة الحية نفسها بديمقراطيتها وبالالتزام بأهداف الثورة القومية الديمقراطية الوحدوية، فإن معركتها الإيديولوجية المشتركة التي يجب أن تخوضها، هي مع تلك الإيديولوجية التي تحاول بسط هيمنتها المطلقة والتي يمكن تسميتها بالإيديولوجية المحافظة، ومعركتها معها ليس في أنها إيديولوجيا للفئة المسيطرة تاريخياً فحسب، بل لأنها تزيف أهداف وشعارات التقدم

إن نلاقى القوى الوطنية الديمقراطية واتفقنا على فهم مشترك لطبيعة المرحلة التي تمر بها أمتنا، وعلى ضرورة تجاوز أزماتها والتناقضات التي تمرقها وتعطل تحررها وتقدمها وعلى أن الديمقراطية طريق لها، وغاية، بحيث تحدد مسارها نحو إنجاز مهماتها في التحرر والاشتراكية، والوحدة، كل ذلك يضع أمام قوى التغيير إطاراً عاماً لاستراتيجية موحدة، أنها واو اختلفت في بعض من منظوراتها الإيديولوجية، فإنها على قدر كبير من التلاقي، وهذا التلاقي كاف للوصول بها عن طريق الحوار الديمقراطي إلى برنامج عمل مشترك، له أبعاد الاستراتيجية لمرحلة تاريخية كاملة، وهذا ما هو مطلوب الآن أكثر من شيء آخر.

إن المرحلة تحتاج من الجميع إلى خط تنويري يشد التجديد ويعمل للتغيير، والتقدم، ويأخذ بمنهجية واضحة في التفكير والممارسة، ويقدم مشروعاً ديمقراطياً لبرنامج المرحلي والاستراتيجي يعين توجهاته نحو المستقبل، يحرك الطاقات ويدفع للتقدم والتجديد الحقيقي يقتضي مراجعة الأفكار في كل خطوة، ووضعها على محك الواقع يقتضي وعي حركة التاريخ الفعلي، واستكشاف منهج لتجاوزها، والتطلع إلى تجديد في الثقافة الشعبية العامة وبالتالي يتضح الموقف من تيار وطني متطور وديمقراطي وتيار آخر يلغي الديمقراطية فيلغي الإنسان في النهاية.

وتسلخها من مضامينها، لنزع ثقة الجماهير بها، وتطلعها إليها، وهي بالتالي تزيف حركة المجتمع والتاريخ، وتطوي رصيداً لقوى الرجعة والتطلع إلى السوء. وبهذا تصبح الخصم الأول أمام حركة التغيير، وليست الإيديولوجية الرجعية التي لا تتعش إلا بقلعها ومطيئها لكل فرد ديمقراطي وممارسة ديمقراطية.

إن العمل الفعلي المطلوب لخلق إيديولوجية تلك الفئة المتسلطة على رؤوس القواعد الشعبية، الإيديولوجية الملققة وتمجدة بشكل يطابق التلغيق في تركيب تلك الفئات التي نمت يوماً وتسلقت بشكل طفيلي، تحت اعتبارات شتى، وإن كشفها في كل رقع والتصدي لها في كل مكان وكشف ما تغطيه من مصالح وارتباطات، مطلب أساسي لتأكيد خط التقدم وإعادة ثقة جماهير الأمة بأهدافها والمضامين الصحيحة لتلك الأهداف، وهذا التصدي الديمقراطي يقف على أرضية توحيدية حوارية في بناء التلاحم الوطني بحركة الناس، وليأخذ مجالته بالفكر والتأثير، صيغاً تكتيكية في النضال السياسي، وهذا التصدي الإيديولوجي أيضاً لا بد أن يأخذ ومنذ البداية المواقف الاستراتيجية الشامل، والقاطع وهذا الموقف الشامل والقاطع هو الذي يرسم أمام الجميع صيغ العمل الاستراتيجي، والتكتيكي في مواجهة القوى الظلامية المضادة لحركة الناس الديمقراطية.

سعاد الصباح

صوت

المرأة

الثامن

بقلم:

هايل محمد الطالب

سعاد الصباح قصيدة الخليج التي بُنيَ عمودها الشعري على الثورة على الواقع وعلى التقاليد الاجتماعية، فعزفت في قصائدها عزفاً يكاد يكون منفرداً على أوتار الرفض، فكانت قصائدها تعبر عن مشروع شعريٍّ أساسه قدرة المرأة العربية عموماً والخليجية خصوصاً على المشاركة في بناء الوطن. من هنا لا غرابة أن يكون هاجس الشاعرة الأول هو الحرية، هذا الهاجس الذي اتسم بالجرأة في الطرح شكلاً ومضموناً، في مجتمع اتسم به الأدب بالذكورية..

وكيف لا يتسم بذلك والشعر لديها لا يزال مصدر تذكير لنا بأننا أحياء وأن الواد لم يدفن كل الرموز الحياتية، ومن منطلق الثورة، الثورة التي تطالب بالحقوق غير منقوصة، الثورة التي تكسر حصار منع التجول الذي فرضه الرجل الشرقي الثورة التي تحرر المرأة من شهريار العصر.. كان لا بد لشهرزاد، والحالة هذه، من أن تكسر الأقفال في فمها لتنتطق نحو تحقيق الذات، ومن هنا لا غرابة أن يتكرر ضمير الأنا، هذا الضمير الذي لا ينطوي على نرجسية كما هو مألوف، بقدر ما ينطوي على تأكيد على الحضور، هذا الضمير الأثثوي الذي يريد أن يقول: "إني هنا" ومن هنا لا بد من الثورة على وصايا القبيلة المستبدة لتحقيق الذات:

الهاربة من كتاب ألف ليلة
ووصايا القبيلة وسلطة الموتى..
أنا النخلة العربية الأصول
والمرأة الرافضة لأصناف الحلول

فصوّرت المرأة التي تريد تحقيق ذاتها
هو الصوت الأقوى في شعر سعاد الصباح
وهو حاضرٌ في أغلب ما كتبت، حيث نرى
صوت المرأة المثقفة التي وقفت على واقعها
وأدركت (السلاطات) المفروضة على المرأة
والفيتو المفروض على نون النسوة في مجتمع
يقف ضد ثقافة المرأة وضد خروجها من
القمقم وضد أن تكتب، وأن تتفوّق على الرجل
فالكتابة وقّف على الرجل وإثم يحظر على
المرأة ارتكابه:

يقولون:

إنّ الكتابة إثمٌ عظيمٌ..

فلا تكتبي..

وإنّ الصلاة أمام الحروف

حرامٌ.. فلا تقرّبي

وإنّ مداد القصائد سمٌّ..

فإياك أن تشربي..

لكنّ الشاعرة ترفض هذا الواقع،

وتكسرُ هذا التمييز العنصري:

وها أنذا

قد شربت كثيراً

فلم أتمسّم بحير الدواة على مكتبي

قد كتبتُ كثيراً

وأضمرتُ في كلّ نجم حريقاً كبيراً

فما غضب الله يوماً عليّ

ولا استاء منّي النبي..

ومن هنا تقف الشاعرة في صفوف

المحتجين، لتعرض الواقع المؤلم الذي تحياه

المرأة في مجتمع شرقي يرى المرأة من سقط

المتاع والأثوثة حالة من الضعف:

يقولون:

إنّ الأثوثة ضعف

وخير النساء هي المرأة الراضية

وإنّ التحرر رأس الخطايا

وأحلى النساء هي المرأة الجارية

والصاح الشاعرة على استخدام كلمة

(يقولون) غير مرّة في هذه القصيدة هو تأكيد

على نقل الصورة الاجتماعية كما يتداولها

الناس وكما رسخت في أذهانهم، وربما؛

بل حتماً هذا ما جعل فكرة الرفض تتبلور

بشكل صريح خالٍ من المواربة والتمويه في

إعلان الرفض وبجرأة باتت معهودّة من

الشاعرة، جرأة لا تخلو من تفاؤل ثوري

بالتغيير:

وأرفض أفكار عصر التنك

ومنطق عصر التنك

وأبقى أغني على قمّي العالية

وأعرف أن الوعود ستمضي

وَأَنْ الزَّوَابِعَ تَمْضِي

وَأَنْ الْخَفَافِيشَ تَمْضِي

وَأَعْرِفَ أَنَّهُمْ زَائِلُونَ

وَأَنِّي أَنَا الْبَاقِيَّةُ...

وثنوية سعاد الصباح هي ثورية لا
تجامل ولا تقبل أي بصيص أمل، على ندرته
في مجتمعنا الشرقي، إذا لم يكن صادقاً يربط
القول بالفعل، ومن هنا برزت لدى الشاعرة
نقدية رافضة للازدواجية عند بعض المدعين
الذين يزعمون التقدم وأفكار العصور الوسطى
ما تزال معشعشة في خرائب عقولهم تمخرها
باستمرار:

كم أنت بليغ ومتدفق

عندما تتحدث

عن مأزق المرأة العربية

وضرورة فك الحصار التاريخي

وعقلها وجسدها المطمور تحت الرجل

ولكن ما يدهشني

أنك عندما تكتب

تضع المرأة دائماً

"بين قوسين"

كما اتّسمت ثورية الشاعرة بالجرأة
في التعبير عن المشاعر، فالحب ليس ذاك
الفتى المتسول المنبؤ من المجتمع، بل هو
أساس الحياة لذلك لا غضاضة في نقض الحكم
بالسجن المؤبد الذي أصدره المجتمع على
عواطف المرأة:

أَسْمِيكَ

رغم احتجاج قريش

"حبيبي"

والحق أن الشاعرة لا تفصل بين

المرأة والرجل، وإنما تريد بناء علاقة جديدة
قائمة على المودة والاحترام، علاقة لا تتوقف
عند جسد المرأة وشكلها الخارجي وتهمل
فكرها وعقلها:

كن صديقي

كن صديقي

إنني أحتاج أحياناً لأن أمشي على العشب معك
وأنا أحتاج أحياناً لأن أقرأ ديواناً من الشعر

معك

وأنا - كامراً - يسعدني أن أسمعك

فلماذا - أيها الشرقي - تهتم بشكلي؟

ولماذا تبصر الكحل بعيني

ولا تبصر عقلي

بقي أن نشير أخيراً إلى أن ثورية

سعاد الصباح على الواقع الاجتماعي الذي
تعيش فيه المرأة في مجتمعنا، هو جزء
من ثورتها على المجتمع الذي عم فيه
الفساد بفعل الثروة والمال، وهي جزء
من ثورية قومية واضحة في شعرها،
ثورة قومية على الواقع العربي الذي يعمه
الجهل والتخلف والتفرق والتشردم وهذا
ما يبرز بشكل واضح في مجموعتها فتايت
إمرأة..



تذكرة

شعر: د. سعاد الصباح

قَالَ لِي وَهُوَ بَطْعَمِ _____
 قُبْلَةَ الحَسَنِاءِ أَخْبِر _____
 إِنَّ فَنِي تُغْرِكُ نِيفَ _____
 رَدَّ يَاقُوتٍ وَعَن _____
 لَو رَنَّا السَّوْدُ إِلَى أَن _____
 فَا سَاحَا الحَرَّى تَبْخُر _____
 أَوْ دَنَّا الرَّاهِبِ مَن _____
 نَسِيَّ الذِّبْرِ لَيْسَ كَر _____
 كُلُّ حَرْفٍ مِّنْ جَنَى ثَغِي _____
 رِكٍ مَقْطُوعَةٍ سُوْكَر _____
 فَاحْذَرِي إِنْ لَامَسَتْهَا _____
 نَسِيْمَةٌ أَنْ تَتَكَسَّرَ _____
 أَنْتِ يَا فَاتِنَتِي أَحَد _____
 لِي مِّنَ الدُّنْيَا وَأَنْضَر _____
 وَابْتَسَامَاتِكَ تَجْلُو لَو _____
 عَوْنٌ كَالْفَرْدِوسِ أَخْضَر _____
 أَنْتِ لِي أُمْنِيَّةٌ أَحَد _____
 لِي مِّنَ الْخُيْبِ وَأَكْبَر _____



الغذاء هو زاد الكائن الحي وزادته
خلال رحلة حياته. وهو وقود هذا الكائن
ومحرك وجوده من جهة، ورفيق تلك الرحلة
وركيزتها من جهة أخرى. وهو في الوقت
نفسه كالجنس وسيلة الحياة لتحقيق غايتها،
وطريقها الموصول إلى رحيقها. لذلك غلفتها
الطبيعة معاً بالجابية وعدت الرغبة قرينتها،
وضمنتها سوية باللذائذ واعتبرت الشهوة
شفيعتها. وحلت كلاً منهما بصفات خارجية
وسمات داخلية جعلتهما مصدراً للإغراء
والافتتان. وصيغت الأشكال والأنواع التي تثير
الرغبة في تناول الطعام منهما بالأشكال البهية
والألوان الغنية والروائح الذكية والمذاقات
السخية. وأحلت للبشر نوعين رئيسيين منها
تحت أولهما تحت النوع النباتي بحبويه
وبقوليه، وثماره وخضاره، وفثائه وفطوره.
وأدخلت ثانيهما تحت النوع الحيواني بأسمائه
وبرمائياته، وبزواحفه وطيوره، وبوحيدات
معدته ومجتراته، وبألبانها وبيضها،
وشحومها ودهونها، بعد أن بثت من هذه
الأنواع والأشكال الآلاف المؤلفة من الأصناف
بمختلف المذاقات والنكهات. كما صنفت
الأشكال التي تثير شهوات الجنس منهما بعد
أن جعلت النوع البشري جنسين متميزين
أدخلت أولهما تحت جنس الذكور وزودته
بالقوة والقسوة. وأدخلت ثانيهما تحت جنس
الإناث وأترعته بالرفقة والرحمة. ونوعت
أشكالهما الخارجية بالألوان المتباينة والأطوال
المختلفة، والأحجام المتفاوتة، والقسمات
المتمايزة. ولونت سماتهما الداخلية بالتوجهات

الحيوانية

والشعورية

ببشرية

الحيوانية

والشعورية

بقلم:

م. كمال راغب الجابي

حسي أو جلال قدسي. وتكوّن انطباعاً عنده بصعوبة الارتكاز عليها وخطورة اعتبارها هيكلًا صالحاً لإقامة أبنية ثابتة الأسس، متينة القواعد، راسخة الجذور، شامخة الانتصاب. ولا سيما إذا كانت أضلاع هذه الأشكال متباينة الأطوال وغير متناسبة الأبعاد. كما هي الحال في الطول المفرط للضلع الممثل للغذاء فيها، باعتباره الركن الأهم في الحياة، ولكونه جُرح بدوره الضلعين المتعلقين بالجنس والإيجاب ويدفعهما لأن يسباريانه أو يجاريانه في الامتداد.. ويضاف إلى ذلك بأن الأهمية البالغة لسُغذاء قد تتحول عند بعض الناس إلى أهمية استثنائية وبشكل يصبح معها الصديق الأقرب إليهم والأفضل لديهم والذي تتقدم منزلته عندهم على ما عداها. وقد يعود ذلك أحياناً إلى كونهم يعانون من جوع عاطفي أو جنسي أو فكري أكثر من معاناتهم من جوع حقيقي. ويقابل هذه الحالة المنتشرة بكثرة حالة استثنائية قليلة الانتشار يعاني أصحابها من الجوع من أجل الجوع ويستمرنون الحرمان من الكماليات وبعض الضروريات كما يستمرى الفريق الآخر الإدمان عليهما معاً..

لكن الحرمان في حالاته الأعم يعود إلى ضيق ذات اليد المؤدي إلى ضيق ذات البطن والذي هو الصفة الغالبة لبسطاء الناس والطيبين منهم بشكل خاص. بينما الإدمان على الطيبات في حالاته الأشمل يعود إلى سعة ذات اليد المؤدية إلى سعة ذات البطن والذوات الأخرى المتعلقة بها والتي هي الصفة الغالبة لخبثاء الناس والذنبين منهم بشكل خاص.

المتنافرة، والطباع المتغايرة، والثقافات المتجاذبة، والتطلعات المتضاربة. ومزجت هذه الصفات والسمات ببعضها وخطتها مع غيرها وبثت منها الآلاف المؤلفات من الأفراد بجنسيهما. وجمّلت بعضها لتصبح مثار إعجاب الآخرين ومصدر رغبتهم. وغلّقت ذلك بعاطفة الحب وأضحى الوصال هو هدف هذه العاطفة وغايتها، وأصبح الإيجاب من أهم نتائجها، بالطريقة نفسها التي أضحى معها الوصول إلى الغذاء هو أسلوب غريزة البقاء ووسيلتها، وغدا الترابط بين الغذاء والجنس والإيجاب وثيقاً. وصارت هذه الأقايم المثلث المعبر عن الحياة والمترجم للوجود..

ولا غرو بعد ذلك أن يطلق القدماء على الذكر اسم "المرء" وعلى الأنثى اسم "امراة" اشتقاقاً لاسميها من فعل "مرأ" أي "طعم" وإن يكون المصدر من هاتين الكلمتين كلمة "المروءة" التي هي كمال الفحولة الاختصاصية. وبحيث جمعوا في هذين الإسمين ومصدرهما غريزتي الطعام والجنس الحياتيتين معاً. ولا غرابة أن يصبح الإيجاب، بكونه النتيجة الحتمية لهاتين الغريزتين، هو أداة استمرار الحياة ووسيلة انتظام الوجود. وأن يشكل متعة منفردة تستمد مفرداتها من نوازع الاستعاضة عن استحالة الخلود الذاتي بالخلود الغيري لأفراد تنبثق عنا، وتحمل دماغنا وأسماعنا، وتعمل على إكمال مسيرتنا، وإعمال رسالتنا.

لكن الأشكال المثلثة لا توحى للنّاظر إليها بكمال هندسي ولا تولد قناعة لديه بجمال

وجود هاتين الفئتين جنباً إلى جنب، وبصورة واضحة وفاضحة في بعض المجتمعات، أنصع دليل على أن العدالة ظلت مبدأ وهمياً ملتبساً وعاراً وشناراً على مدار التاريخ.

ويتماشى الإفراط في طول الضلع المتعلق بالغذاء في أغلب الأحوال مع زيادة في طول الضلع المتعلق بالجنس. فالأفراد النهمون في أحدهما يكونون نهمين في الآخر غالباً والأفراد المعتدلون هم معتدلون في كلاهما في كثير من الأحيان. بينما يتفاوت طول الضلع المتعلق بالإيجاب بتفاوت النظرة إلى الحياة والموقف منها والسليدين يتباينان بتباين الاستعداد والثقافة والوعي الناجم عنهما. وبشكل عام فإن الأفراد النهمين بالجنس والغذاء نهمون بالإيجاب أيضاً لأنه النتيجة الطبيعية للإسراف بهما معاً، وذلك في حالة عدم وجود موانع خلقية تحول دونه لديهم، فالتهافت على الشهوات في حال توفر الإمكانيات بناء مترابط يشكل الغذاء ركنه المؤسس، والجنس ركنه المجل، والإيجاب ركنه المكمل.. لكن تغيير المفاهيم والأحكام بتغيير الأزمان والأفهام حجم من الركن الأخير. ولعب التقدم في التخصصات الطبية الذي انعكس على انخفاض نسبة وفيات الأطفال، وإطالة متوسطات أعمار الأفراد، والتوسع في إنتاج موانع الحمل، دوراً كبيراً في جعل طول ضلع المثلث المتعلق بالإيجاب يتقلص وينكمش. وبخاصة في الدول التي قطعت شوطاً في مجال التطور والذي اعتبر رفع المستوى المعاشي الفردي من أهم مقوماته. إذ

تطلب هذا الرفع التخلي عن تحمل المسؤوليات الكبيرة. بإيجاب عدد كبير من الأطفال وإعالة أسرة كبيرة العدد والاكتفاء بأعداد محدودة منهم لتخفيض نسبة الانفجار السكاني الذي قد يؤدي إلى خلخلة هذا الوجود وزعزعة أركانه. وفي كل الأحوال، فإن لكل فرد من أفراد النوع البشري مثلثاً للرغبات خاصاً به تتباين أطوال أضلاعه بتباين نوازعه ودوافعه وتوجهاته وتطلعاته. وتلعب العوامل الوراثية دوراً كبيراً في تحديد هذه الأطوال، بينما تلعب العوامل البيئية، والتربوية منها بشكل خاص، دوراً أكبر في هذا التحديد. كذلك فإن لكل من المجتمعات شكلاً مميزاً للمحصلة النهائية لمجموع هذه المثلثات الخاصة بأفرادها. بحيث تبدو المجموعة الأكبر منها في الدول المتطورة ذات أضلاع متقاربة ومتناسبة وهي التي تعكس أوضاع الطبقة الوسطى فيها. بينما تبدو مجموعتان صغيرتان تظهران تظهران كجزيرتين منكمشتين أضلاعهما إما ممدودة أو مشدودة وهما اللتان تعكسان أوضاع الطبقتين الغنية والفقيرة فيها. بينما تبدو الصورة عكسية وبشكل نسبي في الدول السائرة على طريق التطور وحسب المسافة التي قطعها على هذا الطريق..

لكن الخالق العظيم، ورغبة في تنظيم النوازع المثلثية الحسبة المشار إليها آنفاً وتوخياً للارتقاء بها من المرحلة الغريزية المحضة التي تتشارك فيها كل المخلوقات الحية إلى مرحلة روحية متطورة يسمو بها النوع البشري على الأنواع الحية الأدنى. قام

بتمييز هذا النوع عن طريق النفخة الإلهية الكريمة التي هذب بواسطتها التوجهات الحسية الخالصة لدى هذا النوع وأحالها إلى توجهات تختلط فيها الرغبات الغريزية الفطرية مع النواظم العقلية والعاطفية. وجعل منها مزيجاً ذا سمة متفردة وذلك عن طريق إضافة ضلع رابع إلى الشكل المثلثي الحسي لديه، وهو الضلع الشعوري، ليكون ضابطاً للأضلاع الثلاثة الغريزية، ومخففاً من غلوانها. وأحال عن طريقه مثلث الرغبات المذكورة إلى مربع يبدو أكثر تكاملاً، وأقوى تماسكاً، وأشدّ جمالاً، وأبهى تناسقاً، وجعله أصلح لإقامة ركائز متينة، وأقدر على إرساء أسس ثابتة لإقامة صروح التقدم البشري، ومد جسور التعاون بين من يقيم في ظلها عن طريق تهيج أحاسيس الحب بينهم وتأجيج مشاعر المحبة المولدة لها والمتولدة عنها..

ونتيجة لذلك أخذت العلاقة بين الجنسين تتجلى بمظهرين متباينين ولكنهما متكاملين، أولهما غريزي جسدي لذائذي وهو أشدّ ارتباطاً بالإحساس ذي الطابع الذاتي المادي الذي صار الإنسان يتعامل بموجبه بعد طرده من الجنة ويغيب بوساطته عند اتصاله بقرينه لحظات ينتقل خلالها بإحساسه إلى اللذائذ التي عاشها في فردوسه المفقود كما صار ينبج أو يخلق عن طريقه بعد أن كان الخلق فيها عن طريق الكلمة. وثانيهما عاطفي روحي جمالي يسمى بالحب وهو أشدّ ارتباطاً بالشعور العاكس لآل شعور ذي الطبيعة الخيرة التي كان الإنسان يتعامل بموجبها في الجنة.

وصار يمهّد بوساطته الطريق للمحبة مع الآخرين ويقود إليها.. ونتيجة لذلك أضحت أدوات الجنس مادية يحس معها الإنسان باللذة العابرة بينما غدت أدوات الحب شعورية ولا شعورية يرتقي بها الإنسان إلى السعادة الغامرة.

* * *

والضلع الرابع المتعلق بالشعور هو الذي يشكل الشق الثاني من عنوان هذا الحديث الذي تناولنا الحس وأهم مفرداته بعجالة في الشق الأول منه. والشعور هو المنحة الإلهية المغلفة بالعبودية المتناهية والمبطنة بالشفافية المتنامية والتي يقاس بها مقدار الانحراف في الأضلاع الخاصة بأحاسيس الغذاء والجنس والإنجاب لدى الإنسان. كما أنه الأداة البشرية البالغة ندقة والرقّة التي لا تتمكن إلا أن تستفاعل مع الأشخاص وممارساتهم وتنفعل بها، ولا تستطيع إلا أن تستعطف مع الأفراد الذين تحرمهم الطبيعة من عدالة التمتع بمستلزمات حياتهم ومجملاتها وتعطف عليهم. وهو بالتالي الذي يعمل على تحويل النوع البشري من مجرد نوع من أنواع المخلوقات الحية، كالنوع البقري، إلى نوع ذي تصرفات نبيلة وممارسات جليلة يسمو بوساطتها على النوع البيولوجي الذي ينتمي إليه، ويرتقي عن طريقها إلى مدارج قيمة متعاضدة ومتناغمة، ليصبح نوعاً متفرداً متميزاً بالأنسنة التي تجمع في مفهومها بين العقلانية والرحمانية. وتوحد في مضمونها بين استخدام اللسان

وجمال البيان، وبين فيض الحنان ونبض الوجدان..

وأدوات الشعور الأساسية هي أدوات الحس الخمسة المتمثلة بالحواس. لذلك يطلق عليها لغة اسم "المشاعر" وإن كان الشعور يتركز فضلاً عنها على ما يسمى بالحاسة السادسة التي يتلقى فيها الإنسان رسائل عن طريق أفنية غير تقليدية لا ترتبط مباشرة بالحواس بقدر ارتباطها بالفؤاد أو القلب الذي يقلب الأمور ويفحصها بعد أن يقلبها رأساً على عقب ويرسل أمواجاً غير مرئية ذات نذببات متباينة حولها. وقد يكون للغة الصنوبرية التي تفرزها مورفينات الجسم، بنسب محددة، لتعديل الآلام الناجمة عن أعماله الحيوية، كالاكتكاك الناتج عن دوران الدم، أو عن ضغط العظام على المفاصل الموجودة بينها، أو الناجم عن ثقل الجسم وغيرها.. قد يكون لهذه الغدة، التي تشكل عيناً ثالثة في بعض الحيوانات البحرية، دور لم يجر التعرف على طبيعته حتى الآن في سيلان الأمواج الخاصة بالشعور وجولاتها وتغلغلها في أعماق النفس البشرية. ولعل من دلائل هذا الدور ازدياد فعالية هذه الغدة في الظلام وإثاء الصمت والعزلة. بسبب أنها تؤدي إلى سكون العقل الواعي الذي يتركز على الاستقراء والاستدلال والاستنتاج وعلى تهيج العقل الباطن الذي تركز عليه قوة وحكمة النفس البشرية.

ويختلف تقييم دور الحواس الخمس فيما يتعلق بالحس والشعور بين المهتمين

بإجراء مثل هذا التقييم. فبينما يعتقد بأنه بالنسبة للأحاسيس يعد البصر أكثر الحواس فعالية، والسمع أشدها تفعيلاً، والذوق أميلها إلى التدقيق، واللمس أقربها إلى التثبيت والتأكيد، والشم أقربها إلى النسبية وعدم التعميم. يعتبر "ديدرو" من زاوية الشعور أن حاسة النظر أكثرها سطحية، وحاسة السمع أشدها غروراً، وحاسة الذوق أميلها إلى التطير، وحاسة اللمس أقربها إلى التعمق، بينما حاسة الشم غير خاضعة للتصنيف لكونها تخضع للشعور أكثر من خضوعها للمنطق.

ومن الشعور يشق الشعر، الذي هو إسقاط الذات على الآخر وتبادل المعاناة معه. وهو في تنوعاته العديدة وتشكيلاته المديدة حملاً أوجه كثيرة ونقلاً صور مثيرة. بعضها فاعلة تعتمد على محاولة اكتشاف أعماق شعورية غير مطروقة في الفكر البشري ومناطق غير مأهولة في الذات الإنسانية والسعي إلى استخراج كنوزها واستعراض جماليتها. أو تركز على استنطاق الأحاسيس وأدواتها وتسلط الأضواء على تداعياتها وإسقاطاتها بعد بعثرة مفرداتها وإعادة تجميعها. أو تركز على الخيال الحادي الهادي وعلى التجارب الحياتية، وعلى المعاناة المرافقة لمجرباتها والمصاحبة لذكرياتها.. وبعض هذه الصور لا تخرج عن كونها شحنات صاخبة أو غاضبة تكسيها الموسيقى نكهة مستحبة أو مستغربة.. أو توجهات سريالية عائمة وغائمة مشفوعة بشطحات صوفية متفجرة ومتشظية أو بدفقات إلهامية

حول أمور غيبية مجردة بألوانها وظلالها وإيماءاتها وإيحاءاتها.

والشعر الحقيقي بجميع أنواعه وأوضاعه وبمختلف أشكاله وألوانه يدفع بقائله لأن يزواج بين العقل والشعور ويوائم بين العلم والجمال لذلك لا بد أن يرفده لديه رصيد وجداني متدفق، ومخزون فكري متعمق، وإحساس فني مترقّق. وهو أوقع على النفس وأشدّ تأثيراً عليها من النثر. وأكثر مداعبة للعوطف وأشدّ تعلقاً في الذاكرة من أنواع التعبير الأخرى. وهو فن شفاف يُعبّر بوساطته بطريقة موسقة عن المشاعر المستندة على وضوح الجزئيات المراد تصويرها وجلاء الرؤيا المقابلة لها. وقد تكون هذه المشاعر مختزنة في واعي الشاعر فتأتي الصورة جليلة لا لبس فيها أو تكون مختزنة في خافيته فتأتي غامضة بمقدار تعقيد تخزينها فيها..

ويختلف الشعر عن وسائل التعبير الأخرى بالذبذبة الشعرية التي إذا لم تهز قائلها لا يمكن أن تهز سامعها وقد وصف الشاعر الزهاوي هذه الدفقة الهادرة بقوله:

إذا الشعر لم يهزرك عند سماعه

فليس خليقاً أن يقال له شعر
كما يختلف عن الفنون الأخرى
بتركيزه للجمال وتكثيفه لعبيره وتسهيله لعبوره إلى منابت الإحساس ومراكز الشعور وقد عبر الشاعر بدوي الجبل عن هذا التركيز بقوله:

وتوجز في قارورة العطر روضة

وتوجز في كأس الرحيق كروم

والشاعر كلمة اتفق على استعمالها ووصف من يقول الشعر بها. وهي لا تنفي صفة الشعور عن الآخرين. فجميع الناس ذو شعور أي ذو فطنة وذو علم ودراسة بدرجات متفاوتة. لقد سمي الشاعر شاعراً لكونه أعلم وأفطن وأدرى من غيره في المجالات التي يتعرض لها في شعره. لقد كان من الأجدى، في تصورنا، أن يطلق على الشاعر اسم "مشعر" لأنه لا يكتفي كالكثير من الناس بالفطنة والعلم والدراسة، إنما يقوم بإشعار الآخرين بها، خلافاً للآخرين الذين قد يكونون على درجة كبيرة منها تفوق من يطلق عليهم اسم الشعراء لكنهم لا يملكون أدوات نقل هذه المشاعر إلى غيرهم. وفي كل الأحوال فإن الشاعر هو صاحب الشعر وليس صاحب الشعور لغة. وإن إطلاق اسم شاعر على من يقول الشعر عرف جرت العادة على اتباعه منذ القديم ولا مجال لتغييره بعد هذه المدة المديدة.

ولدى الاستطراد بعض الشيء في الناحية الغوية نجد بأن بعض الكلمات المشتقة من فعل شعرَ أو من مصدر الشعور، تدل فيما تدل، على الكثرة والوفرة من ناحية، وعلى العلامات البارزة والإشارات الواضحة من ناحية أخرى، وهي جميعاً من مظاهر الشعور ودلالاته. ويكفي أن نستعرض كلمات شعرَ وشُعراء (الشجر الكثير) وشعار وشعائر (مناسك وطقوس) لمعرفة العلاقة بينها وبين أصولها. ولعل استعمال كلمة "مشعور" باللهجة الدارجة لسدالة على وجود "شرح" أي أول الكسر في الأمور التي يدب فيها العطب

وبالشعر بالذات عند عدم اتساق أحد الأبيات مع البحور الشعرية المعروفة يدل على أن الإشعار ينبغي أن لا تشوبه شائبة، وأنه في حالة إصابته بخلل ما تتحول شفافية الشعور إلى ضبابية الشيء المشعور.

* * *

إثر هذا العرض السريع للأحاسيس المتعلقة بالغذاء والجنس والإيجاب والمشاعر السانجة عنها والناظمة لها. سنعمد وبعجالة مماثلة إلى تناول المفاهيم المتعلقة بكلمتي اليعمور واليخضور لنخلص إلى استنتاج العلاقة الوثيقة بين ما يشير إليه هاتان الكلمتان وبين الأحاسيس البشرية والمشاعر الإنسانية..

واليعمور هو "الهيموغلوبين" أو خضاب الدم المشكل لبروتين كريات الدم الحمراء والمختلط بالحديد الذي يعطيه اللون الأحمر، والذي هو لون بعض أنواع اللحوم التي يستهلكها البشر في غذائهم، ولون كل الدماء التي يسفكونها في حروبهم، ولون فوران الجنس الذي يتعاطونه بأحاسيسهم، ولون توهج الورد الذي يتبادلونه للتعبير عن مشاعرهم، ولون تاج النار التي تلهب السنزوات والتطلعات في أعماقهم. وهو بذلك رمز يجمع بين الرغبة العارمة والقوة المتوحشة، والشهوة الطاغية، والعاطفة المتدفقة، والحرارة الحارقة.. وكمية الحديد الموجودة في دم الإنسان والتي تكسبه هذا اللون لا تزيد عن ثلاثة غرامات من أصل أربعة غرامات موجودة في كامل جسمه. وهي

كمية قليلة جداً بالنسبة لوزن جسمه مما يدل على قوة تأثير هذا العنصر الهام وشدة فعاليته..

والإنسان من المخلوقات الآكلة للحوم. وهو يتساوى مع الحيوانات اللاحمة والتي يطلق عليها اسم الحيوانات المفترسة ولكنه يختلف عنها بأنه يتناول هذه اللحوم بكميات محدودة نسبياً. وأن غذاءه يتألف أساساً من الأغذية النباتية. بينما تشكل اللحوم الغذاء الأساسي بل الوحيد للحيوانات اللاحمة. ويعكس عدد أسنان الإنسان وأشكالها النوعيات التي ينبغي له أن يستعملها في غذائه. فمجموع عدد الأسنان في فكه ثمانية وعشرون سناً منها أربعة أسنان تشكل سبع أسنانه صالحة للتعامل مع اللحوم ويطلق عليها اسم أنياب. وهذا يعني أن سبع كمية غذائه أي ١٥% منها ينبغي أن تكون من اللحوم. وأما بقية أسنانه فتتكون من ثمانية قواطع صالحة للتعامل مع الخضار والفواكه. وهذا يعني أن هذين النوعين ينبغي أن يشكلوا حدود سبعي أو حوالي ٣٠% من كمية غذائه. كما تتكون من ستة عشر ضرساً صالحة للتعامل مع الحبوب والعمل على هرسها وطحنها. وهذا يعني أيضاً أن هذا النوع من الغذاء ينبغي أن يشكل حوالي خمسة أسباع غذائه أي حدود ٥٥% منه. وأما أسنان الحيوانات اللاحمة فمتشابهة وجميعها أسنان منشارية ذات رؤوس حادة وأطراف قاطعة وصالحة للتعامل مع اللحوم تحديداً..

تحليل هذه اللحوم وهضمها ابتداءً من لحظة دخولها إلى فمها..

ويختلف الإنسان أيضاً عن الحيوانات اللاحمة بأنه ليس لديه القدرة الكبيرة على طرد الكميات الفائضة عن حاجته من الكوليسترول في برازه. إذ لا يمكنه التخلص سوى من كميات محدودة منها. كما لا يتمكن كبده أيضاً من استخدام سوى كميات محدودة أيضاً مما يحتويه الغذاء منها لتأمين احتياجات جسمه التي تتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠ ملغ يومياً. وأما باقي الكميات التي يحتويها هذا الغذاء فيجري ترسيبها في الأوعية الدموية وفي المرارة والتي قد يشكل استمرار ترسيبها ما يطلق عليه اسم الجلطة الدموية بينما يوجد لدى الحيوانات اللاحمة قدرة كبيرة على طرد فائض الكوليسترول في برازها.

وليس مجهولاً بأن زيادة نسبة الكوليسترول في غذاء الإنسان وزيادة نسبة الدهون وبخاصة الصلبة منها هي من أهم الأخطار التي تؤدي إلى تشكيل العصيدة الوعائية وتصلب الشرايين لديه. إذ تبين الإحصائيات بأن أمراض القلب والأوعية الدموية تشكل حوالي ٣٠% وأن السرطانات تسبب حوالي ٢٠% من أسباب الوفاة لدى البشر. وأن عدم الاتزان باستهلاك الغذاء وعدم التوازن في نسب اللحوم والدهون فيه هما السببان الرئيسيان للإصابة بهذه الأمراض بنوعيهما. وأن علم السرطان الغذائي هو العلم الحديث الذي يبحث بشكل حثيث عن كيفية تلافي هذا المرض الخبيث..

بالإضافة إلى ذلك فإن طول أمعاء الإنسان أكثر قريباً من الحيوانات العاشبة وأكثر شبهاً لها حيث يتراوح بين ثمانية وإثني عشر ضعفاً لطول جسمها وذلك لإتاحة الزمن المناسب لهضمها وبخاصة أنها لا تتغفن بسرعة مما يسمح بقاءها فترة طويلة في أمعائها بينما لا يزيد طول أمعاء الحيوانات اللاحمة عن ثلاثة أضعاف طول جذعها لكون اللحوم التي تستهلكها سريعة الفساد مما يتطلب عدم بقائها فترة طويلة في أمعائها ويفرض عليها طردها خارجها..

ويختلف الإنسان عن الحيوانات اللاحمة أيضاً بأن جهازه الهضمي معد بشكل يتناول فيه اللحوم بعد طهوها أو شويها. بينما الجهاز الهضمي للحيوانات اللاحمة معد بشكل يستطيع معه تناول هذه اللحوم بحالتها النيئة، حيث يمكن له تحليلها وهضمها بهذه الحالة. بينما لا تقبل الحيوانات اللاحمة على استهلاك اللحوم المطبوخة ولا تقبل تناولها بهذا الشكل كونها تسبب لها إزعاجات هضمية كما قد تسبب لها العقم.. ولعل هذا من الأدلة على اعتماد الأجيال البشرية الأولى قبل اكتشاف النار على الأغذية النباتية وعلى الحليب ومنتجاته وليس على اللحوم في غذائها، فضلاً عن أن لعاب الإنسان والحيوانات العشبية قلوي التركيب وبدرجات متقاربة لعدم الحاجة إلى هضم النباتات فور دخولها إلى الفم. بينما لعاب الحيوانات اللاحمة حامضي التركيب وتزيد نسبة حامض كلور الماء فيه عن عشرة أضعافها في لعاب الإنسان وذلك لكي يبدأ

القصة شأن رفيع من الآداب وفن من
فنونهِ الجميلة وردت عند الأمم المختلفة، هي
في آثار المصريين القدماء وشعر الأغريق،
وما خلفه الفرس والهنود على مر الزمان، كما
ورد في الكتب السماوية التوراة والإنجيل
زخرت بها آي الذكر الحكيم. ولعل العرب من
الأمم التي كان لها النصيب الوافر من هذا الفن
الرائع أثمر عنهم قصص ابتدعوها وقصص
ترجموها عن الفرس والهنود وأغناها بما
تزايدوا عليها وكان لها رصيد شعبي كبير على
مر الأيام كقصص "عنتره وذات الهمة" وربما
إن أجملها وأكثرها شيوعاً وانتشاراً قصص
"الفيلة وليلة" حيث وصنت للغرب تعلن عن
سحر الشرق وأسراره وخبائيه رغم ما
اعتورها من خيال جامح والحوشي من الألفاظ
والغريب من الكلم أحياناً إلا أنها حوت معاني
شتى لأوصاف الطباع وحدة الذكاء مع الكثير
من المساجلات الجميلة والمطايبات ووصف
الأحوال الخاصة والعامة.

إلا أن القصص التي تجمع فيها
العرض الوافي لحياة العرب وخصائصهم
وعلومهم وجملة معالم حضارتهم وما انطبعوا
عليه من كريم السجايا وما هم عليه من عقائد
وعوائد وما أثر عنهم من أخبار "كان للمرأة

من الآثار

الأدبية

عند العرب

بقلم:

مروان الخطيب

ففيها مكانة سامية ومنزلة رفيعة وما احتوته أيضاً من كشف لمعالم التاريخ والمفاخر العربية المبادئ الصالحة وما روه على ألسنة الطير والحيوان كـ "كليلة ودمنة" الغرض منه تثقيف الأذهان وتنمية المدارك.. إنما هي القصص التي سوف نتعرض لها لما فيها من نبل المقصد وجليل الغاية وكريم التضحية وعظيم الشرف ورفعة الإيثار كما الحق والتضحية.

ولما كان لي على صفحات مجلة "الثقافة" الغراء سبق تحت هذا العنوان عديد فإنني أثرت العود للحديث في طياتها عن جميل تلك المآثر المستوحاة من تراث أمتنا الأدبي في أسفاره المتعددة آملين أن نستعيد من خلالها ذلك الألق الذي نحتاج إلى بريقه اليوم ينير لنا ما أظلم من أيامنا، نسترشد به ونعتد، قيمياً من أصالة العروبة وبعضاً من موروثها الأدبي الحضاري.

وهأنذا أقدم قصة فيها من الطرفة ما يسر القلب ومن الفكاهة ما يضحك، حدثت في العصر الذهبي للدولة العربية الإسلامية، حيث ساد الرخاء والمتعة مع القوة والعزة والمنعة دفعت بسراة الحكم إلى اللهو البريء والعبث المفرح يضيفي على الحياة رونقاً زاهياً ولوناً

من ألوان الحياة الهائلة والسرور بظل الأمن والأمان..

قيل: خرج الخليفة المهدي يتصيد فذهب فرسه بعيداً عن صحبه حتى وقع على خباء لأعرابي فتقدم منه وحيّاه وقال: يا أعرابي هل من قرى؟ فأخرج له قرص شعير وفضلة من لبن، فسقاه ثم أتبعه بنبيذ في ركوة، فسقاه أيضاً، فلما شربه قال الإعرابي أتدري من أنا؟ قال: لا. قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: بارك الله في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى فشرب الخليفة وقال: يا إعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: لا أنا من قواد أمير المؤمنين. قال الإعرابي: رحبت بلاك وطاب مرادك. ثم سقاه الثالثة، فلما فرغ قال: يا إعرابي أتدري من أنا. قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا ولكنني أمير المؤمنين. فأخذ الإعرابي الركوة فأوكأها "ربطها" وقال: إليك عني فوالله لو شربت الرابعة لأدعيت أنك رسول الله. فضحك الخليفة المهدي حتى غشي عليه. ثم أحاطت به الخيل ونزلت به الأمراء، فطار قلب الإعرابي فقال له المهدي: لا بأس عليك ولا خوف وطيب خاطره ثم أمر له بكسوة ومال جزيل..

وفتحت أروقة الكلام

شعر: حسان الصاري

قالت: أحب الشعر، قلت وهل سواي عليه قادر
قالت: وتشدني، أم أنك مثل ما قالوا محاذر
فأجبتها والليل مد جناحه ورمى الستائر
الشعر أنت، وكل ما قالوه عن عينيك قاصر
أنت القصيدة والبحور وأنت ملهمة الخواطر
عينك أجمل ما رأيت، وهل يلوم الحسن شاعر
* * *

لو جئتني قبل المشيب لزفت الدنيا البشائر
لو جئتني والعمر مخضر ودوح الحب ناضر
لرأيت جنات الشباب وكل ما يغري النواظر
لكن خمسين السنين تقول للمغرور حاذر
من يوم جئت إلى (حما) قلبي على الألفان طائر
أخش رحيلك، والوداع أحر من نار المجامر
لو تسكنين القلب كنت أمانة عند المخاطر
يا من أتيت من البعيد لقد فتحت لي المعابر
أنسيّتي حتى الزمان، فما أفكر بالمصائر
فالأمس رغم جوده طيف كنور الشمس غامر



والعمر أولسه لقاك ومن يفكر بالأواخر
لولاك ما رقص الحنين، ولا تبسمت المشاعر
لولاك طلقت القصيد، وقلت للإلهام سافر

* * *

لا تبعدي فالعمر قبلك ضائع والحب فاتر
من قبل أن تأتي أفتش عنك يا عمر الأزاهر
وأتييت فارتحل العذاب وداعب العنقود عاصر
كل الذي عندي حنين ذاب في طي الدفاتر
هيهات يقرؤه سواك وكيف تفتضح السرائر؟
لو ترحلين كسرت أفلامي وحطمت المحابر
ورميت للنار الضروس حنين أيامي الغواير
وبقيت بعدك لاهباً والشوق طي القلب ثائر

* * *

هلي على عمري القليل وهددي قلبي المصابر
وتبسمي فالأمنيات عزيزة والعمر جائر
لست البخيلة، والكريم بطبعه جم المآثر
عينك لو غم المدى كانت لأيامي منائر
العمر قبلك مقفر والدرب لو تدرين عاثر
لا نجمة في الأفق تهديني ولا ليلى يسافر
كل الذي عندي منى تذوي وأحلام تهاجر



الشاعر المهجري

سامي جبرين

في ديوانه

عندما

استشهد

الديبور

بقلم:

أ. عيسى فتوح

حينما كنت طالباً في المرحلة الثانوية كنت اسمع الناس في مشتى الحلو والكفرون، يتحدثون بإعجاب عن الأخوين الشعارين والفناتين الموهوبين سعيد وسامي جبرين، وأنهما ينظمان الشعر، ويهويان الأدب والفن والعزف على الناي والكمان، في محيط ريفي بسيط، لم يكن فيه وجود للكتاب أو المجلة أو الجريدة أو لالة الموسيقى سوى الناي التي أحسنا العزف عليها.

وعلمت يومذاك من أبناء عمهما - وكانوا رفاقي في المدرسة - أنهما غادرا ضيعتهما "تبع كركر" ليدرسا في إحدى المدارس الإنجيلية، وقد استطاع سعيد أن يتفوق بعلمه وذكائه. وينتسب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الأدب العربي، وليعمل بعد تخرجه في إذاعة "صوت أمريكا" بواشنطن، لكن العمل الإذاعي استقطب كل نشاطه، فهجر الشعر الذي أبدع فيه أيما إبداع.. وقد استطعت أن ألمم تنفاً من هذا الشعر لأبني عليه دراسة أدبية نشرتها في مجلة "الثقافة" و جريدة "الأسبوع الأدبي" التي تصدر عن إتحاد الكتاب العرب في دمشق.

لقد أسعدني الحظ في التعرف إلى هذين الأخوين الشعارين المبدعين حينما زارا سورية عام ١٩٩٠، فاعتمت الفرصة لحثهما على نشر ديوانيهما قبل فوات الأوان.. وكما كانت فرحت كبيرة حين اتصل بي الصديق سامي من البرازيل ليخبرني خبر عزمه على طبع ديوانه، وأن الديوان في طريقه إلي.. ولما تسلمته عكفت على قراءة قصائده الطريفة التي أملتتها المناسبات الاجتماعية، واللقاءات والدعوات الخاصة والأحداث الوطنية التي كانت تجد صداها في المهجر الجنوبي.. فقد عاش الأستاذ سامي في المهجر بجسمه، لكن روحه بقيت مرتبطة بالوطن الأم، وظل يحن إليه، ويتذكر مرابع طفولته فيه، ويسعى لزيارته كلما سحت له الفرصة، فقد ابتسم له الحظ هناك، واختار برازيليا (عاصمة البرازيل) مكاناً لإقامته، فاختلف بالسفراء العرب وكبار الشخصيات العربية والأجنبية

التي لمعت في ميادين الأدب والفكر والفن
والاجتماع والتجارة والمال..

لقد شاء سامي جبرين أن يطلق على
ديوانه عنواناً طريفاً هو "عندما استشهد
الدبور" وكلنا يعرف الدبور وقرصاته اللاذعة
ووخزاته المؤلمة.. وقد نفذ من خلال دبور
إلى تشخيص الأمراض التي يعاني منها
الوطن، وتطرق إلى الزعامات، ومأساة الفكر
في الشرق العربي، وإلى صرعة الحداثة في
الشعر.. فقد ألمه أن يتراجع الشعر العربي
الأصيل، ويتخلى عن مكانته الرفيعة لما
يسمونه الشعر الحديث أو قصيدة النثر
ويتساعل:

أهذا النشازُ الكثيبُ الممضُ
هو الشعر في عهده المرتقب؟
أيشدو هزارَ بهذا النشازِ
أيعلو جناحَ بهذا الزغب؟
أذلك شعر؟ أذلك نثر؟
أحفظ غيباً؟ أيدعى أدب؟

ويخشى على تراث الأجداد من ذلك
الشعر الوليد الممسوخ الذي أوشك أن يزيع
الشعر الكلاسيكي ويتربع في مكانه، هذا الشعر
الذي هو بحق ديوان العرب وتاريخ مجدهم
وعزهم وحضارتهم الخالدة:

فمن سائل عن تراث الجدود
أذلك آخر ما يُغتصب؟
ومن مظهر أسفاً للعروبة
قيل أصيبت بداء الركب
طلاسم شعر تثير العجب
تعيذُ الشتاء الذي قد ذهب

ويسخر في قصيدته "لم يبق للحر إلا
الخلج" من أولئك الذي يتطاحنون على كراسي
الزعامات والوجاهة والمحسوبية، بدافع من
أنانيتهم، وتضخم (الأنات) عندهم فيقول:

خلاف الكراسي خلاف الوجاهة
فرض (الأنات) بالدليل الأدل

وينتقد بمرارة من اعترفوا بالهزيمة
أمام العدو المغتصب دون حياء أو خجل،
وطلبوا الصلح معه بلا حرب أو إراقة نقطة
من الدماء:

قد اجتمع القوم في "فاس" يوماً
أقروا الهزيمة دون الوجيل
وقالوا: نبادر ذاك العدو
اللينم بصلح كشهر العسل

كما ينتقد أيضاً مأساة الفكر في شرقنا
العربي؛ هذا الفكر الذي قضى نحبه أو رحل
عنا، أو كسر جناحه، أو اعتقل، قانلاً:

على الفكر في شرقنا لا تسل
فاباً قضى نحبه أو رحل
تولى كنيباً مهيبض الجناح
كمن مضه العيش في معتقل
وما الفكر في أمة لم تزل
تعيش بعقده "فرق تئل"
يُنَادِ علينا بجمع الصفوف
فتكثر في القول دون العمل

ويسخر من تقليدنا الأعمى للغرب
الذي أفسد ميراثنا، وأغرقتنا بأضاليه وترهاته
وصرعته، وأوهنا ببريق حضارته المزيفة:

لكم أفسد الغرب ميراثنا
نعيش أضاليلهم يا خجل!
أقمنا الحضارة نقفو خطاهم
حضارة "قلد أخاك الخجل"!

ويشيد أخيراً بفضل العرب الذين
أضأوا الدنيا شرقاً وغرباً، فعاشوا كراماً،
وخلدهم التاريخ، فإن نحن منهم اليوم؟

يحدث عن فضل أسلافنا
أضأوا البرايا بعصر الجمل

لم تعلمه بها من قبل، بل لأنه ليس من هواة الرقص، فقال على لسانها:

لنا موعدٌ في غدٍ يا حبيبي
نجدد للقلب ما زال حياً

سندعو الأصيل وشمس الأصيل
لملهي الشباب فكن حاتماً
ونشرب كأساً تعيد الشباب

ونرقص حتى تغيب الثريا
فقلت لها يا ابنة العم رفقا

كأنني بشعري أتيت فرياً..
ذريني من الرقص يا منيتي

فبعضُ التمني كسكر الحمى
ومن للعظام إذا أبغيت

يحیی خريفاً عجولاً حياً

وتتجلى الطرافة والدعابة وخفة الروح
نثر ما تتجلى في قصيدته "مرآة الحلاق" يوم
جاء على كرسيه ليصلح لمتة، فغير مقصده
في دقائق شكله، وأضاع فتوته، ولم يعد
يصدق أنه هو نفسه، ذلك الشاب الوسيم الذي
كان يسرح ويمرح مع الصبايا في قريته "تبع
كركر" ويسمعهن أنغام شبابته:

جلستُ إلى الحلاق أصلح لمتي
فأتكرت في المرأة نفسي ولي عذري

أهذا أنا حقاً؟ وتلك بقيتي
ثمالة ما في الكأس من طيب العمر

أذاك غلامُ الأمس و "النبح" قرنتي
و "كركرها" الرقراق مهدُ الهوى العذري

نفخت بها نايي أبث صبابتي
فرردها الوادي طروباً مع النهر

وقد قيل عني عاشقٌ ودلّلتني
بأن الهوى العذري يسكر كالخمر

كما يتجلى الظرف وحلاوة النكتة في
قصيدته "مرتي وأنا والديور" التي أجاد بها

أولئك "لا نحن" عاشوا كراماً
وحلوا كراماً ديار الأزل
فيا ربّ يوم يعود الإباء
كما كان قديماً رداء البطل

وينهي القسم الأول من ديوانه بقصيدة
طويلة - كأكثر قصائده - "هل نحن مع
سلطان" التي ألقاها في الحفلة التأبينية التي
أقيمت للمجاهد سلطان باشا الأطرش في
النادي الحمصي بسانيولو في ٥/٥/١٩٨٢،
وأشاد فيها بمآثره وبطولته قائلاً:

يا للنعى مؤبناً بطل العرب
كتبوا أذاعوا من مآثره العجب

من كان في الجلى لأمته الأرب
من قاد ثورتها عظيماً سيداً

لا عاش من جدوا لفارسهم يداً

* * *

ثم ينتقل في القسم الثاني من الديوان
إلى شعر الحب والغزل والمرح والفكاهة
والدعابة.. وأي شاعر لم يفتنه جمال الوجه،
وحلاوة الشفر، ولمى الشفاه التي يطيب له
الموت على ضفافها:

أرنبو للشفر فيوجعني
تباً لحلاوته نصلاً

أتأمل وجهاً كالندى
قد يوصف جوداً أو بخلاً

حواء تُعدّ أنوثتها
ومفاتيح جنيتها الأولى

فالموت على الشفة العليا
يحلو كالموت على الشفة السفلى

ولزوجته السيدة "تجلاء الحلو" نصيب
وأفر من قصائده الطريفة، ولعل أطرفها قصته
معها يوم فاجأته بالدعوة لحضور حفلة راقصة
مع بعض الأصدقاء لإحياء ذكرى زواجهما
الحادي والعشرين، فاستنكر الدعوة، ليس لأنها

تسألت: ما للشعر جف ماددة؟

فقال: لقد أودى وكان موالى..

ليس سامي جبرين شاعراً بالفصحى
فحسب، بل هو شاعر أيضاً باللغة المحكية..
وفي ديوانه قصيدة واحدة بهذه اللغة نظمها
صيف عام ١٩٩٠ حين زار الوطن مع أخيه
الشاعر سعيد بعد هجرة امتدت نصف قرن،
وقد عبر فيها عن شوقه وحنينه وفرحته
العارمة بلقاء الأهل والأحبة والخلان،
ومشاهدة ربوع القرية الوداعة الجميلة التي
احتضنت طفولته، ومنها قوله:

رجعنا عالضبعة مطرخ ما ربينا
شربنا مويّتها، سكرنا وما روبنا
ولما بخضرتهاا اكتحلت عينينا
تذكرنا الماضي وأهل الربونا
رجعنا عالنبع نعبي خوايينا
تنسى غربتنا ونذكر ماضيها
تقبرها غربة ومعها ملايينا
طلة هالوادي بتسوى المسكونا

* * *

إن شعر سامي جبرين يتميز بالصدق
والبساطة والوضوح والعفوية، ولذلك فهو
يتغلغل في القلب، ويستقر في أعماق
الوجدان.. كما أنه يتسم بالطرافة والميل إلى
استخدام الدعابة والفكاهة والمرح وإيراد
النكتة، التي تحمل البسمة إلى الشفاه، وتبهج
القلب، وتروح عن النفس، وتشيع الغبطة عند
القارئ.

ولو لم تشغله أعماله التجارية، عن
نظم الشعر - كأكثر شعراء المهجر - لرغد
المكتبة العربية بأكثر من ديوان.. ويكفي أن
هذا الديوان كان حصاد عمره وخلاصة
تجاربه، وحصيلة ما نظم.. وكل ما نأمل أن
يكون صدور حافزاً لأخيه سعيد ليدفع بديوانه
إلى الطبع، بعد طول انتظار..

وصف عادات زوجته وطباعها، وحلل فلسفتها
في الحياة.. فهي دائماً - كما يقول - وراءه
وأمامه، تَمْطُرُهُ بعلمها وفلسفتها الخاصة،
وتفحّمه بأجوبتها، التي هي أشبه بمنطق
السجّان:

إنها زوجتي قطبٌ يا زماني
فلسفَ الله رأسها وابتلاني
إنها.. إنها ورائي أمامي
كالكتير كالقليل كالإدمان
لو تئاءبت لكرى أيقظتني
بكلام مبطن ومعانٍ
لو تسألت: ما جرى أفحمتني
بجواب كم نطق السجّان!
تدعي العلم بالذي في خيالي
والذي في قرارة الوجدان
أكفني من لسانها يا إلهي
فهو كالسوط لا ذغ في كياني

وأطرف ما في ديوانه قصيدته التي
بعث بها إلى أخيه الشاعر الصامت سعيد
جبرين الذي هجر نظم الشعر - وهو الشاعر
المبدع والعاذف الماهر - وانصرف إلى
مشاركة زوجته الأميركية، في شئ اللحم،
وقلي الأسماك، وطبخ الأرز المحمّر.. يقول:

تسألت عن أحواله ومآله
فقال: تقاعدنا برتبة أبطال
فقلت: ولكن ما أمامك يا أخي
فقال: أمامي مطبخٌ ومجال
وأطمعني أشهى الطعام عجبت من
مهارته بالطبخ لست أغالي
لحوماً وأسماكاً، أرزاً محمراً
شواءً ومطهواً، وبعض مقال
فتى شاعرٌ يطهو الطعام لضيفه
ويفصح بـ "المريول" عن واقع الحال

سعى الفلاسفة العقليون في البلاد العربية والإسلامية إلى التوفيق بين العقل والنقل، والتأليف بين الفلسفة والدين. ومال الفلاسفة الانتقاديون إلى تغليب النظر على الإيمان. وإنّ ذلك ظهر الغزالي يدعو إلى إيمان بسيط خال من التعقيد، إيمان استسلام وعبادة وفناء في الله ومحبته.

انسرى الغزالي بمؤلفه (تهافت الفلاسفة) للهجوم على المشائية الشرقية، ولا سيما الفارابي وابن سينا. وقد هاجم بعنف القول بخلود العالم وأزليته، وقانونيته. إن الله عنده. قد خلق العالم من عدم، والمشية الإلهية تتدخل دوماً في مجريات الأمور.

والغزالي، كالأشعري، ينكر السببية في بعة، فما ندعوه من رابطة سببية ليس إلّا ما اعتدنا عليه من تعاقب زمني للأحداث والظواهر.

حارب الغزالي الفلاسفة، ونقد المتكلمين، لكنّه هاجم بعنف شديد الباطنية.

وتحدّث الغزالي عن صراعه الباطني في سبيل الكشف عن الحقيقة ووجد أن أصناف الطالبين تنحصر في فرق أربع، اختار نهج إحداها، وهي فرقة المتصوفين.

وجرى في معارج الشك المنهجي في المحسوسات ثم في المعقولات.

ثم راح ينفذ الفرق، فاعترف للمتكلمين بأنهم أجادوا النضال عن العقيدة المقبولة من النبوة، ولكنّه عابهم في اعتمادهم على بعض مسلّمات الخصوم.

الغزالي

بقلم:

د. محمد جمال

طحان

حارب الغزالي المتكلمين بلغة الفلاسفة، وحارب الفلسفة بلغتها. فشرح مقاصد الفلاسفة وكأنه أحدهم، ثم عمد إلى الرد عليهم في كتابه (تهافت الفلاسفة) فالفلاسفة عنده ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - الدهريون: وهم الزنادقة الذين يقولون أن العالم وجد نفسه، والحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان. كذلك كان وكذلك يكون أبداً.

ثانياً - الطبيعيون: زنادقة أيضاً، آمنوا بالله وصفاته وجددوا باليوم الآخر.

ثالثاً - الإلهيون: وهم المتأزرون مع الفلاسفة، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، وقد كشفوا أخطاء بعضهم، فكفّروهم الغزالي لبذعهم وكفر أتباعهم.

وقد كفّر الغزالي الفلاسفة في مسائل ثلاث، قولهم:

أولاً - إن الأجساد لا تحشر.

ثانياً - إن الله يعلم الكلّيات دون الجزئيات.

ثالثاً - إن العالم قديم أزلي.

وقد كان الغزالي، مع ذلك، متسامحاً مع الفلسفة غير أنه استعلى في دعوته إلى ضرورة لجم العوام عن علم الكلام، وأوجب عليهم التسليم لأهل المعرفة.

فهو يزن للخاصة بميزان نقد عاقل يعتمد الدليل والبرهان، ويزن للعامة بميزان توجيه هادف يعتمد التأثير بالإقناع والإفهام.

ثم ينتهي الغزالي إلى طريق (الصوفية) يعترف لهم بأنهم أهل علم وعمل وأن حاصل علومهم السمو بالنفس.

وهذا الاحياز للتصوف لم يمنع الغزالي، وهو فيلسوف عقلي، من نقد شوائب القول بالحلول وبالاتحاد وبوحدة الوجود، وبكل ما يبعد عن جادة الإسلام الصحيح.

ولد أبو حامد محمد الغزالي سنة ألف وتسعة وخمسين في الغزالة وهي بلدة قرب طوس في خراسان. ظهرت عبقرية منذ صغره فأتقن الفقه واللغة وسافر إلى جرجان حيث درس على أبي نصر الإسماعيلي، وعاد إلى طوس، ويروي الغزالي أنه في طريق عودته، قطع عليه اللصوص الطريق وسرقوه، فاسترحمهم أن يعيدوا إليه كتبه لأن فيها قوت علمه، فضحك منه اللصوص لأنه لم يحفظ ما فيها وأعادوها إليه، فعاهد نفسه أن يحفظ علمه وكتبه كلها، حتى إذا سُرقت ما ضاع عليه شيء.

سافر إلى نيسابور وأخذ الفقه على الجويني، ويقال إنه ألف كتاباً في الفقه وطلب من أستاذه أن يقرأه، وما أن أنهى قراءة ما ألف تلميذه حتى قال له: (دفنتني وأنا حي).

وحين ذهب إلى الوزير السلجوقي نظام الملك، ولأه الوزير التدريس في مدرسته النظامية ببغداد. واتسعت شهرته، وأقبل الناس يجنون العلم منه. وإذا به يشكو - فجأة - علة مجهولة أعيت الأطباء، فخرج من بغداد تاركاً ملكه وقفاً، نابذاً شهرته، هارباً من وساوسه، ينشد الراحة في ظل العزلة والإيمان، وقصد بيت الله الحرام، وقفل إلى دمشق مجاهداً في عبادته، مختلفاً إلى الزاوية المعروفة باسمه في المسجد الأموي، يصلي ويقهر شهوات

الغزالي في العبادات فحسب، بل في جميع الأعمال التي يقوم بها المؤمن.

وفي قسم العادات من كتابه إحياء علوم الدين، يبحث في أصول الأكل والكسب والصحة، والمعاشرة والسفر وغيرها، شارحاً آداب كل منها، ومتقيداً بمبادئ الدين والعقل فيها.

أم في قسم المهلكات فإننا نراه يطلب تطهير القلب استعداداً لسلوك الطريق. فهو يحدد عيوب الشهوات وآفات اللسان والغضب والحقد والحسد والمال، مبيّناً أسبابها، ويصف طرائق معالجتها.

بعد تنقية القلب يستطيع المريد أن يقطع المقامات ليرتقي من الزهد إلى حب الله إلى الفناء في الله إلى الإلهام. وحال الزهد عند الغزالي هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، أو ترك المحبوب إلى ما هو أحب منه، وهو عدول عن الدنيا إلى الآخرة، أو عدول عن غير الله إلى الله.

يبدو أن الغزالي هو أول الفلاسفة العرب الذين اعتمدوا الشك المنهجي لبلوغ اليقين، وهو بذلك سبق ديكرت بأكثر من خمسمائة عام. صاحب المقولة الشهيرة (أنا أشك إذن أنا موجود).

لقد تنبّه الغزالي إلى مخاطر المنطق ومزالق الضلال التي تنتاب الباحث كلما سعى إلى الحقيقة عن طريق العقل وحده.

وبدلاً من تركيز الغزالي على المعرفة بواسطة العقل، راح يركّز المعرفة على الإيمان، فاتخذ نور الإيمان، الذي يقذفه الله في الصدر، نقطة الانطلاق ومبدأ المعرفة.

نفسه. ثم انقلب إلى خراسان ودرّس في نيسابور، ثم عاد إلى طوس.

وكرّث بعد ذلك مؤلفاته في الردّ على مذاهب عصره، حيث كتب (مقاصد الفلاسفة) ليبرهن على إحاطته بعلمي الفارابي وابن سينا، وأشار فيه إلى أخطاء الفلاسفة. ثم جاء كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي شكك ببراهين الفلاسفة ونظرياتهم. ثم مرّ بأزمة شكّ ظهر بعدها كتابه (المنقذ من الضلال) الذي يشبه السيرة الذاتية. ثم انقلب إلى التصوف حتى توفاه الله. ترك الغزالي مؤلفات كثيرة وأثر عميقاً في الفكر العربي بعد أن برع في علم الكلام، وحاول أن يهدم أركان الفلسفة.

* * *

بنى الغزالي تصوّفه على إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر. وركّز على إتمام فرائض الشرع، فلا يجوز لأحد أن يعفي نفسه منها.

والغزالي، في الربع الأوّل من كتابه (إحياء علوم الدين)، يبحث في العبادات ويدرس شروطها الخارجية ثم يطلب أن يسمو المؤمن بها إلى الغاية التي من وضعت من أجلها فلا يتوقّف عند القشور دون اللبّاب. فالطهارة ليست وضوءاً ونظافة جسمية وحسب، بل هي أولاً تطهر القلب من الرذائل. والصلاة ليست تمتمة كلام وركوعاً فحسب، بل هي مناجاة الله بالقلب والنفس ثم باللسان.

ولكل فرض روحانية خاصة، على المؤمن أن يفهمها، وإلا لم ينفذ إلى روح ذلك الفرض. هذه الروحانية الصوفية لم يدخلها

ولن يؤتى هذا المفتاح إلا لمن آمن
بالنبوّة، وأقرّ بوجود طور فوق طور العقل،
تتفتح فيه المدارك الخاصة.

هذه هي حكاية الغزالي كما وردت في
كتابه (المنقذ من الضلال).

ولهذا العلم اليقيني طبيعة ذاتية
حدسية بحتة، فهو لم ينشأ من العقل أو عن
طقوس الشرع، وإنما هو تجربة روحية،
قلبية، ذوقية. والذوق وليد الإلهام الذي يشبه
إلهام الأنبياء. وهذا الإلهام يؤتى بالتوكّل الذي
يبنيه الإيمان، الذي هو قوام اليقين. وأصحاب
الذوق الصوفي يبلغون حال المباشرة فتكون
لهم كرامات الأولياء.

هكذا انتهى الغزالي إلى أن العقل
عاجز عن حلّ المعضلات الإلهية، وأن اليقين
يكون بالإيمان الذي يرتكز على الكشف الباطني
الذي هو مفتاح السعادة والمعرفة الحقّة.

بعد أن وضع الغزالي أصول شكّه
المنهجي ساعياً وراء مبدأ ثابت يبلغه العلم
اليقيني، بدأ يقيم أساليب العلم في عصره،
ويبحث في معارف الطالبين والنتائج الفكرية
التي انتهوا إليها، فقسم أصناف الطالبين إلى
أربع فرق: "المتكلمون"، وهم يدعون أنهم أهل
الرأي والنظر، والباطنية، وهم يزعمون أنهم
أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاعتباس من
المعلم المعصوم. والفلاسفة، وهم يزعمون
أنهم أصل المنطق والبرهان. والصوفية، وهم
يدعون أنهم خواصّ الحضرة وأهل المشاهدة
والمباشرة.

ثم عمد الغزالي إلى دراسة كل فئة

خامرت الغزالي الشكوك من عهد
الصبا فنظر إلى المذاهب في اختلافها، ولاحظ
أن أولاد اليهود يتهودون، وأولاد النصارى
يتنصرون، وينشأ أولاد المسلمين على
الإسلام، وذلك يكون بالاتباع والتقليد. ورأى
أن الاستمرار في التقليد لا يورث النفس
اليقين.

ثم راح يستكشف أسرار الفرق، فلم
تشف غليله، لأنّه يبتغي العلم اليقيني الذي لا
يشوبه ريب.

لقد طلبه الغزالي في التقليد فلم يجده،
فافتراض وجوده في المحسوسات، وجعل يتأمل
المحسوسات متسائلاً: "هل يمكنني أن أشكك
نفسي فيها؟" ثم رأى أن حاكم الحس يقرّر
حقيقة لا يلبث حاكم العقل أن يكذبها وينفيها.
فتناول الغزالي البديهيات العقلية، مثل قولنا إن
العشرة أكثر من الثلاثة، أو قولنا إن الشيء
الواحد لا يكون قديماً وحديثاً معاً، أو موجوداً
ومعدوماً معاً.

وبينما كان الغزالي يبحث عن اليقين
في هذه البديهيات، عارضته المحسوسات
تقول: كنت واثقاً بي، فجاء حاكم العقل فكذبني،
وها أنت الآن تتق بالعقل، ولكن، قد
يكون وراء العقل حاكماً آخر يكذبه، فقد تكون
الحياة بأسرها حلمًا فلا ينكشف الحق إلا بعد
الموت.

ودام الغزالي في شكوكه حتى قذف
الله في صدره نوراً علوياً خلّصه من ريبته،
وبعث في نفسه الطمأنينة عن طريق الكشف
الذي وجده الغزالي مفتاحاً للمعرفة.

وأما الإلهيون، وفيهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي، وقد تكلمنا عليهم جميعاً في حلقات سابقة، فقد كفرهم الغزالي بحجة أنهم لم يستطيعوا التخلص من رذائل الدهريين والطبيين وبدعاتهم. وعمد إلى مناظرة الفلاسفة بأسلوبهم ليهدم نظرياتهم ويثبت عجز الفلسفة عن بلوغ الحقيقة الإيمانية، داعياً إلى الإيمان الروحي من خلال الفصل بين الشريعة والحكمة.

ثم يردُّ على القائلين بمبدأ السببية: "ليس لهم من دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار، والمشاهدة تدلُّ على الحصول عند الملاقة، ولا تدلُّ على الحصول به".

إنَّ القائلين بمبدأ السببية قد شاهدوا الأشياء متعاقبة على نحو معين، فتكون الحادثة الأولى وتتبعها الحادثة التالية على الأثر فتتبعها لهم أنَّ الأولى علَّةُ الثانية حتماً. ولكن هذا الاقتران ليس ضرورة من الضرورات الدائمة، وإن إثباتنا لإحدى الحادثتين لا يحتمُّ إثباتنا للأخرى؛ ولا يحتم نفيها نفياً الأخرى. فالاحتراق، مثلاً، لا يدل على أنَّ الاحتراق قد حصل بالنَّار، بل يدلُّ على حصوله عند ملاقة النار، أي مع النَّار.

ذلك أنَّ الطبيعة، وكل ما في الطبيعة، لا يستطيع إتياناً بفعل، لأنَّ الفعل يقتضي سابق إرادة حرَّة، واختيار كامل، وعلم شامل؛ وليس للطبيعة إرادة حرَّة، أو اختيار كامل أو علم شامل؛ وبالتالي فهي لا تفعل؛ وإنما الفاعل هو الذي جعل فيها خصائصها، وعن إرادته وحدها

مبيناً رأيه في كلِّ منها، وخلص - كما رأينا في الحلقة السابقة - إلى ضرورة لجم العوام عن علم الكلام، لأنَّ حاجة الجمهور إنما هي إلى الإيمان لا إلى الجدل، وحاول أن يثبت في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) أن ما ينتهي إليه العقل لا يناقض الشريعة الإلهية، مع الإقرار بأنَّ العقل الإنساني لا يستطيع الارتقاء إلى معرفة الله بوسائله الخاصة، وأنه يقصر عن تقدير نعم الله التي لا تحصى.

رد الغزالي على الباطنية في الاعتراض على مبدأ الحكم بالنص أو بالاجتهاد بالاحتكام إلى النص القرآني عند وجوده، بقولهم: "كيف تحكمون في ما لم تسمعوه، أم بالنص ولم تسمعوه، أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف" ردَّ الغزالي على ذلك من خلال مطالبته بالاحتكام إلى النص القرآني عند وجوده، فإذا عرض لنا أمر ليس فيه نص قرآني فلا بأس من الأخذ بالاجتهاد، وبين ضرورة الاجتهاد بقوله: "إنَّ النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع غير المتناهية" ولمخطئ في الاجتهاد أجر وللمصيب أجران.

وحمل الغزالي على الفلاسفة فجعلهم أصنافاً ثلاثة:

دهريين، وطبيعيين، والهييين. ثم بين موقفه من كل فئة منهم. أما الدهريون فعذم زنادقة لأنهم جحدوا الله، وزعموا أن العالم موجود بنفسه. وكذلك وصف الطبيعيين الذين اعترفوا بوجود الله، ولكنهم جحدوا الآخرة وأنكروا الثواب والعقاب، فاتهموا في شهوات الدنيا.

يصدر الفعل وهو وحده الفاعل. وإذا قيل إن الطبيعة تعمل، فذلك يقال من على سبيل المجاز. أما كيفية هذا التعاقب وغاياته وسره فأمور تخرج كلها عن إدراكنا، ولا تتسع لها القوى البشرية.

ولم يغب عن الغزالي أن إنكار السببية قد يفضي إلى ارتكاب المحالات المستقبحة، بحيث "يجوز عندنا انقلاب الكتاب حيواناً وجرّة الماء شجرة تفاح"؛ غير أنه شاء أن يخضع كل إدراك عقلي للإيمان، وكل فعل جزئي للإرادة الإلهية. فأرادته تعالى هي التي اقتضت وجود هذا العالم، ولذا فهو يعرف كل ما في العالم.

وهكذا، فاستمرار العادة في جريان الأشياء على وتيرة واحدة، يرسخ في أذهاننا أنها ماضية على حالها حتى النهاية؛ وتتأبّع الأمور على هذا النحو في رأيه ليس ضرورياً بالحق؛ إنه ممكن، يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع. فالغزالي مؤمن بأن العالم لا يسري على نمط واحد دائم مدى الدهر، وأن الإرادة الإلهية تستطيع تحويل ما فيه.

ومن قيل هذا التحول النبوة؛ فإن الأمور الممتنعة في العقل ممكنة في حق الأنبياء. وأبين المعجزات كتاب الله الذي ثبت كونه معجزاً بطريق الحسن والاعتبار لكل إنسان وجد ويوجد إلى يوم القيامة؛ وبوضع الشرائع الملائمة للحق كانت سعادة الخلق.

يتبين من هذا كله أن موقف الغزالي مناقض لموقف الفلاسفة؛ فهو يخضع العقل والعلم للإيمان دفاعاً عن الدين، ويرجع المحالات العقلية إلى المعرفة التي لا تكون إلا عن طريق التسليم الروحي والكشف الباطني.

لما فرغ الغزالي من هذه العلوم، وأقبل على طريق الصوفية، وافق إقباله عليها هذا النزاع العميق، بين شهوات الدنيا، ومنادي الإيمان؛ وقد بان له أن القلب لم يتجاف عن دار الغرور، وأنه مشغول بالجاه وعلائق الدنيا. وما زال في دائه حتى وطئ النفس على مغادرة بغداد، فدخل الشام يطلب العزلة والرياضة والمجاهدة، يعتكف في منارة المسجد طوال النهار؛ ثم سار إلى بيت المقدس فالحجاز؛ ودام على ذلك عشر سنين، حتى انكشفت له حقيقة التصوف على الوجه التالي:

- تتم طريقة التصوف في رأيه بعلم وعمل؛ والعلم أيسر، غير أنه لا يفضي إلى تفهم التصوف على الوجه الحقيقي. فالفرق بين من يعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين من كانت حاله حال الزهاد، كالفرق بين من يدرك أسباب السكر، ومن كان حاله السكر.

إن أخصّ خواص المتصوفة لا يمن الوصول إليها بالتعلم، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، لا اعتبره أن الصوفية "أرباب أحوال لا أصحاب أقوال".

- أقبل الغزالي على التصوف وفي نفسه "إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر" فلم أن الصوفية يسلكون طريق الله، فسيرتهم أحسن السير، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، وكل ما في ظاهرهم وباطنهم مقتبس "من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به" فطريقهم سبيل إلى تطهير القلب، وإلى استغراقه بذكر الله فالغناء بالكلية في الله.

ورأى الغزالي أن للمتصوفة في أحوالهم مكاشفات ومشاهدات، يرتقون بها فيشاهدون الملائكة في يقظتهم وأرواح الأنبياء، يسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد". وهذه حالة يتعدّ التعبير عنها، وليس للذي بلغها إلا أن يقول:

وكان ما كان مما لست أذكره

فطنٌ خيراً ولا تسأل عن الخبر
والذي لم يُرزق نعمةً هذا الذوق
الروحي لا يعرف من حقيقة النبوة غير اسمها. وهذه المكاشفات هي من كرامات الأولياء. والكرامات "بدايات الأنبياء". ثم يضيف الغزالي إلى هذا قوله بأن التحقيق في شأن هذه الحال علم، وملايسة تلك الحال ذوق، وقبوله عن طريق التداول بظنٍّ حسنٍ إيمان. وفي مثل هذا الذوق مرّ النبي حين أقبل إلى "جراة" حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربّه"

غير أن للغزالي مآخذ على المبادئ الفلسفية في التصوف، إذ تهيأ للمتصوفة في قربهم ومشاهداتهم وأذواقهم أنهم بلغوا الحلول والاتحاد والوصول، وكل ذلك خطأ في رايه.

هكذا انتهى الغزالي، بعد هذا الصرع الفكري الروحي، إلى التصوف؛ ولكنه تصوّف معتدل مرتّب بالعبقدية والنبوة، فإنه ينكر على مذهبهم أبرز مبادئه الفلسفية، فيدحض الحلول، والاتحاد، والفناء، والوصول، ويردّ نظرية وحدة الوجود.

ثم جاء بحث الغزالي في النبوة نقطة الانطلاق ونهاية المطاف معاً. فعلى ضوء الإيمان بها بنى منهجية تفكيره، وهدم

الفلسفة، وناقش سائر الفرق؛ وبها اهتدى إلى راحة اليقين. ولعلّ أوضح ما أورده بهذا الصدد فصل عقده في نهاية المنفذ من الضلال ضمنه خلاصة رايه فيها.

فهو يرى أن الإنسان خلق ساذجاً، ووهب طاقة الإدراك المتدرج من الحواس إلى التمييز، فإلى العقل الذي يدرك الواجب والجائز والمستحيل. وكما يقصّر النظر عن إدراك المسموعات، كذلك يعجز العقل عن تفهّم ما هو وراء طوره، مما ينطوي عليه المستقبل والغيب. ولكن ما هو السبيل إلى إدراك النبوة، والعقل مقصّر عنها؟ لقد منح الإنسان خاصية النبوة في "النوم" حيث يطل على طور غيبي يأتيه صراحة أو عن طريق المثال.

* * *

هذه هي بعض أفكار الغزالي الذي نشأ على التصوف، وندارس علم الكلام، وأوغل في طلب الفلسفة، فجاءت حصيلة تفكيره مزيجاً من هذا كله: أمّا التصوف، فقد بحثه في ضوء العمل التقوي المرتب بالدين، وبسط فيه الخروج من آلية الفرائض وظواهرها، إلى مرتفعات الصلاة وارتقاء الروح؛ وعرض للعمل الصوفي؛ وفيه النزاع القائم بين ميل إلى الدنيا وصفاء قلب المشوق إلى حب الله، يقترب منه بالنبوة، والصبر، والفقر، والرجاء، والتوحيد، والتوكل، والمحبة، والرضا. وأمّا الكلام فحصر فيه حق التأويل بالراسخين في العلم، ونهى العامة إلا عن الأخذ بالآيات القرآنية والأحاديث، ودعا إلى التقديس، فالتصديق، فالاعتراف بالعجز، فالسكوت، فالإمساك، فالكف، ثم التسليم لأهل المعرفة؛

القيامة. تعملُ منها أربعة. وتدعُ منها أربعة:
أما اللواتي تدع، فأحدهما: أن لا تناظر
أحداً في مسألة ما استطعت.

والثاني: مما تدع، وهو أن تحذر من
أن تكون واعظاً ومذكراً، لأن فيه آفات كثيرة،
إلا أن تعمل بما تقول أولاً، ثم تعظ به الناس..

والثالث: مما تدع، أن لا تخالط
الأمراء والسلاطين ولا تراهم، لأن رؤيتهم
ومخالطتهم آفة عظيمة؛ ولو ابتليت بها دغ
عك مدحهم وثناهم، لأن الله تعالى يغضب إذا
مدح الفاسق والظالم. ومن دعا لطول بقائهم،
فقد أحب أن يعصى الله في أرضه.

والرابع: مما تدع، أن لا تقبل شيئاً من
عطاء الأمراء وهداياهم، وإن علمت أنها في
الحلال، لأن الطمع منهم يفسد الدين؛ لأنه
يتولد منه المداينة ومراعاة جانبهم، والموافقة
على ظلمهم..

هذه بعض النصائح التي بثها الغزالي
في رسالته منذ ما يقرب من ألف عام فعلاً
ننتفع بها وبأفكار عظماء الإنسانية.

وفي صفحات تالية سندج أهمية أفكار
الغزالي واضحة من خلال تأثيره في باسكال،
ومن خلال اقتباسات توما الأكويني الذي اعتمد
حجج الغزالي للرد على الرشديين من أبناء
ملته، وفي تعبير الرشديين إشارة أيضاً إلى
أهمية ابن رشد الذي تتلمذ على يديه نفر من
مفكرى الغرب الذي عرفوا بالرشديين.. فكان
الغزالي حجة للغربيين، كما كان ابن رشد حجة
لخصومهم أيضاً، مما جعل تأثيرهما كبيراً من
خلال الأفكار التي طرحوها وأسهمت في تغيير
العالم..

ومجمل أقواله فيه مردود إلى التسليم بحقيقة
النبوّة، والاعتراف بقصور العقل عن إدراك
الغيبيات لأنّها وراء طوره. وأمّا فما روت
غلبل نفسه، فسفه أقوال أربابها وبدّعهم في
أمر، وكفرهم في أخرى.

واكتفتة غمرة الشكوك، واحتواه ألم
مرير، وانبرى يبحث عن منفذ يقوده إلى
الطمأنينة القريّة، فلم يجد غير الإيمان والبنوة
هادياناً والتصوّف العملي سبيلاً.

* * *

لنلاحظ معاً عظمة أجداننا وقدراتهم
العظيمة من خلال بعض النصوص التي كتبت
قبل ألف عام من الآن.

وللتدليل على ذلك نقتطف بعض ما
نحتاج إليه مما ورد في كتاب الغزالي الذي
يحمل عنوان (رسالة أيها الولد): "أيها الولد!
النصيحة سهلة، والمُشكّل قبولها، لأنّها في
مذاق متّبعي الهوى مرّة، إذ المناهي محبوبّة
في قلوبهم، وعلى الخصوص لمن كان طالب
العلم الرسمي..

أيها الولد.. العلم بلا عمل جنون،
والعمل بغير علم لا يكون.

أيها الولد! ينبغي لك أن يكون قولك
وفعلك موافقاً للشرع؛ إذ العلم والعمل بلا
افتداء الشرع ضلالة..

واعلم أن اللسان المطلق، والقلب
المطيق، المملوء بالغفلة والشهوة، علامة
الشقاوة، فإذا لم تقتل النّفس بصدق المجاهدة،
لن يحيا قلبك بأنوار المعرفة.

أيها الولد! إني أنصحك بثمانية أشياء
أقبلها مني لنأ يكون علمك خصماً عليك يوم

فرحة العزم

شعر: د. محمد الحسواني

ألقيت في حفل زفاف ابنتي لينة وعريسها المهندس وسيم ضبعان
جعل الله حياتهم كلها سعادةً وأفراحاً في فندق شيراتون دمشق
مساء يوم الخميس ٩ جمادى الثاني ١٤٢٤هـ / ٧ آب ٢٠٠٣م

جـاد الزمان وغنّت الفحباء
فني ليلةً فيها الوجود يضاء
رُسمت على وجه الخلاق بسمةً
وبدا على أفق السماء بهاء
وأنت بشائرُ جاد فيها حـالِق
ملكٌ عـزّ قـادرٌ، وعطاء
أهلاً بكلّ الحاضرين ففيهم و
تمّت مسـررتنا وحقّ ثناء
شكراً لهم فشعورهم اضفى عليـ
ننا بهجةً، ونفوسهم سمحاً
بالأوجه الحسناء يزهو حفلاً
وكساه من نسج القلوب رداً
عُرساً نقيم وفي النفوس سعادةً
تحيي القلوب مودةً وإخاء
زوجان قد عقد الإله قرانهم
مذ ذُوتت في لوحه الأسماء



لينا على عرش الكمال مائدة
لمأحاة موهوبة شماء
ورثت مزايا أمها وتعلمت
أن الحياة محبة ووفاء
وإذا أطلت فهي شمس أشرفت
وتوزع الأنوار حيث تشاء
يا لين يا زهو الحياة وأنسها
ما أنت إلا كوكب وضاء
أنت الظلال وحين أغدو متعباً
أنت النسيم لجنتي والماء
كيف الحياة بدون وجه مؤنس
كيف الصباح يجيئني ومساء
سيزل طيفك لا يفارق مقلتي
كل الحياة لمقلتك فداء
يا رب أرجو أن تكون لجنتها
ولجانبتي فالبعد فيك لقاء

* * *

ووسيم نجم والنجوم عوالم
فيها تجلّت روعة وسناء
فيه الشهامة والوسامة والتقى
تسري لديه رقصة وصفاء
الصدق والإخلاص ملوك كيانه
ففي لاحظيه واحدة غناء





وهو الأمين على حبيبتى التى
حفظت لديره وأهله الأمناء
فأبو نبيل لا تشق غبارهُ
ففى كل ساح فارس مغطاء
شهدت له أفعاله وصحابه
والأجر من رب العباد رضا
والله أكرمهم بأنقى زوجة
فهما على درب الوفا رفقاء
وهى الشريكة فى مراحل عمره
دوماً على غصن الهوى ندماء
أولادهم كالأنجم الزهر التى
ازدانت بحسن بهائها الجوزاء
وهمو نبيل والوسيم ونورس
وربى الفتاة السامحة الغيداء
قوم كرام قد سمت غاياتهم
إلههم ولأهلهم خلاصاء

* * *

فالشكر كل الشكر لله العلى
والخير منه منة وسخاء
ظلل إلهى لينتى وعريستها
والظل منك سعادة ورخاء
وليعمر الإخلاص بيتهم الذى
سيدوم فيه العز والأبناء



"ما زال جيلنا منذ وعى، يسمع دعوى
عن عجز العربية عن أداء العلوم الحديثة،
حتى كدنا ننسى ماضيها العلمي في عصر
الحضارة الإسلامية وفجر العصر الحديث".

ومنذ عزلت عن الميدان العلمي
تدريساً وتأليفاً، صارت دعوى عجزها من
المسلّمات البديهية التي لا نحتلّ الجدل، ولم
تفلح جهود نصف قرن في رد اعتبارها العلمي
إليها حتى عربت "موسكو علوم العصر: فهل
كنا نحرث في الماء؟!"

في صيف عامنا هذا، تلقيت رسالة من
مطبوعات موسكو العربية، حسبتها أول الأمر
مما ينشره "المجمع العلمى للاتحاد السوفيتى
من ذخائر تراث لنا، ير فيه رواد انفضاء
أكفان موتى وأحافير أثرية من عصور غيرت،
ولا يسمح بأن يجعل من اهتمامه بها موضوع
جدل أو مناقشة، فمن قد يتصورون أن جهد
المجمع العلمى يجب أن يوفر منه للسباق
الظافر إلى غزو القمر.

فلما نظرت في كتب هذه الرسالة من
مطبوعات موسكو العربية، وجدتها جميعاً من
صميم علوم العصر التي وضعت لتكون مرجعاً
للدارسين في الجامعات والمراكز العالية
للتدريب الفنى.

وأوشكت أن أطرح هذه الكتب جانباً،
أو أتخفف من عبئها على خزانة كتبى،
بالتماس من يهتم بموادها التي لا شأن لى بها
ولا اتصال.

غير أنني ما لبثت أن ذكرت ما أشتغل
به من قضايا حياتنا اللغوية، فأقبلت على هذه
المعربات الواردة من موسكو، أحاول أن
أستبين إلى أي مدى طوع العلماء السوفييت
لغتنا العربية، لأحدث ما وصلوا إليه في المجال
العلمي والصناعي.

الطبعة

العربية

وعلوم

العصر

بقلم:

د. عائشة

عبد الرحمن

بعد أن تحدثت في مادتها العلمية إلى عدد من صفوف علماء الاختصاص وفي مقدمتهم عالمنا الحكيم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور أسامة أمين الخولي وكيل هندسة القاهرة.

وكانت مفاجأة لي، أن أقرأ لغتي في هذه العلوم العصرية، سليمة واضحة، دقيقة طيبة ميسرة، لا تتوقف ولا تتعثر.

وأن أمضي في قراءة المواد العلمية التي انزلت عنها طويلاً، مأخوذة بلهفة من يكتشف فجأة أن أسراراً من لغته غابت عنه.

بعد كل ما ضج به أفقنا العربي المعاصر، من دعاوى طنانة رنانة، تؤكد عجز لغتنا عن أداء علوم العصر، وتبرر عذر جامعاتنا في الإصرار على تدريسها بلغة أجنبية.

وتنذرنا بأن نظل حيث نحن، متخلفين عن العصر علمياً وصناعياً، إن نحن جازفنا بتعريب العلوم استجابة لعاطفة قومية ساذجة، لا مجال لها في عصر العلم!

فمبلغ علمي، أن جيلنا مازال منذ وعي، يسمع هذه الدعوى تدوي كالطبول. فأما الذين جهلوا منا تاريخ الأمة فايقنوا أنها حق لا ريب فيه، وأما الذين اتصلوا بماضي الأمة ودرسوا تراثها العلمي، فقد وقفوا في حيرة من أمر هذه العربية: من أين أصابها العقم وهي التي استطاعت منذ عشرة قرون، وأكثر، أن تستوعب كل التراث الفلسفي والعلمي للأمم القديمة، وأن تنقل إلى المكتبة العربية ذخائر الفكر والعلم والثقافة لأعرق الحضارات التي عرفها التاريخ؟

وكيف يعيها اليوم أن تنقل علوماً كان للعلماء العرب، في عصر الحضارة الإسلامية، مجد الزيادة فيها وتحريرها من المنهج التأملّي الفلسفي الذي كان يسيطر

على العقلية اليونانية في عصر قيادتها للفكر الإنساني فيردها إلى غيبيات مما وراء الطبيعة، مترفعاً أو عاجزاً عن التجربة العلمية بمنهجها الاستقرائي الدقيق وأجهزتها المعملية؟

ومن وراء ثلاثة عشر قرناً، مضيت أساير التاريخ العلمي لأمتي، وأنا في أخذة العجب لهذه الكتب العلمية المطبوعة بالعربية في موسكو!

من القرن الأول الهجري - السابع الميلادي - بدأ اتصال العربية بالتراث العلمي القديم، في حركة ترجمة لكتب في النجوم، والفلك، والطب والكيمياء، برعاية أمير من البيت الأموي، هو "خالد بن يزيد بن معاوية" الملقب بعالم بني أمية.

على أن الترجمة لم تلبث أن أخذت في العصر العباسي الأول، وضعاً رسمياً تدخل به في سياسة الدولة وتعتمد على رصيد سخي من الخزانة العامة، وقد استوعبت الحركة في عصر الرشيد وولده المأمون، ذخائر التراث الفكري والعلمي في الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعة، لليونان والفرس والهند ومصر.

ثم ما لبثت العقلية الإسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحاً جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الإسكندرية بالفكر اليوناني حين هاجر إليها.

وتلقى معجم العربية رصيذاً ضخماً من المصطلحات العلمية المعربة، إلى جانب الألفاظ العربية التي أمكن تطويعها للمصطلح العلمي.. ولا يذكر التاريخ أن حركة إحياء التراث العلمي قد انتظرت طويلاً ريثما يستقر رأي المختصين على إمكان نقل العلوم إلى العربية، أو صدور فتوى من رجال الدين في جواز تعريبها..

الكبرى في العصر الوسيط: الأندلس وصقلية والدرنديل..

كما شهدوا بأن علوم الطب والرياضيات والفلك والكيمياء، سارت في الغرب الحديث على الدروب التي عبدها رواد هذه العلوم من أعلام الدولة الإسلامية، وقد ثبت تاريخياً أن أكثر مؤلفاتهم العلمية والفلسفية كانت تدرس في جامعات أوربية إلى القرن السابع عشر، في أصولها العربية أو مترجماتها اللاتينية التي تنابت من القرن الثالث عشر الميلادي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقرر تاريخ العلم أن رسال "جابر بن حيان" (ت ١٩٨هـ) التي ألفها في الكيمياء باللغة العربية في القرن الثاني الهجري، عرفها أوربا في نصوصها العربية وفي ترجمات لاتينية ثم ألمانية (هولميارد Holmyard ١٦٧٨م) ثم ترجمها إلى الإنكليزية (ريتشارد راسل R. Russel في طبعة لندن ١٩٢٨).

وكتاب حساب الجبر والمقابلة الذي ألفه "أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي" (ت ٢٣٦هـ) في أوائل القرن الثالث الهجري، نقله (جيرار الكريموني) على اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي، ثم نشر (روزن F. Rosen) نصه العربي مع ترجمة إنكليزية في طبعة لندن ١٨٥٠.

ونشر (ناجل A. Nagel) ترجمة الأبواب الخاصة منه بالحساب كما وضع (جانز S. Gandz) كتاباً عن مصادر جبر الخوارزمي.

وكتاب (الحاوي لصناعة الطب) الذي ألفه طبيبنا أبو بكر الرازي (ت ٣١١هـ) من علماء القرن الثاني وأوائل الثالث الهجري، تحمل أقدم نسخة عربية منه في أوربا، تاريخ سنة ١٢٨٢ بمخطوطات المكتبة الوطنية في

وفي طمأنينة وثيقة من تأييد العقيدة الإسلامية للعلم وتمجيدها للعقل انطلق علماء الدولة الإسلامية ينظرون في الظواهر الكونية بعقلية متحررة من الخصومة العتيقة المريرة بين العلم والدين، فلم يمتض قرن على تعريب التراث القديم حتى قدم هؤلاء العلماء جديداً أصيلاً من العلوم الطبيعية والرياضية، ودخلوا التاريخ العلمي رواداً لأفاق لم يستشرف لها من قبلهم.

ومن القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - بدأت المكتبة العربية تتلقى أوليات الكتب العلمية التي ألفها أولئك الرواد، فاستطاعت لغتنا أن تؤدي كل مصطلحات العلوم الرياضية في الحساب والجبر والهندسة والفلك وأن تطوع المصطلحات العلمية في الطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان والجغرافيا، كما تلقت المراسد الفلكية والمعامل التجريبية، الأجهزة العلمية التي اخترعها علماؤنا الذين تم على أيديهم نقل العلوم الطبيعية والفلكية إلى مجال البحث العلمي التجريبي، وكانت في التراث البابلي مختلطة بالسحر، وفي المدارس اليونانية داخلة في نطاق البحوث العقلية والدراسات النظرية والفلسفة التأملية..

وكل هذا مما لا يجهله دارسو التاريخ العربية والحضارة الإسلامية، وقد كان جديراً بأن يصل إلى المنتمين منا إلى الثقافة الغربية، عن طريق المؤرخين الغربيين للحضارة والعلوم. وهم قد شهدوا بأن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث تمت على أيدي علمائنا في العصر القيادي للحضارة الإسلامية، واعترفوا بأن حركة الإحياء (الرينيسانس) التي بدأت بها النهضة الحديثة في أوربا، إنما قامت أساساً على ما انتقل إلى الغرب الأوربي من تراثنا العلمي الحضاري، على المعابر التاريخية

باريس (الناسيونال) وترجمة إلى اللاتينية "جيرار الكريموني" عام ١٤٨٦م ونص (رينو) في ترجمته الفرنسية لكتاب إدوار براون "الطب العربي" على أن كتب الرازي التي ترجمت إلى اللاتينية بلغة خمسة وعشرين جزءاً.

والجزء الخاص منه بالتشريح، والمعروف بالمنصوري - أهداه إلى المنصور بن اسحاق وإلى خراسان - نشرت ترجمته في طبعة ميلانو ١٤٨١م، ثم نشره (كونينج P.Koning) مع أجزاء من كتاب (الكناش الملكي) لعلي بن عباس والقانون لابن سينا - في طبعة ليدن سنة ١٩٠٣، وترجمة (برونر W. Bronner) إلى الألمانية في طبعة برلين ١٩٠٠.

ورسائله في الجدي والحصبة وترجمها (فاللا E.Valla) إلى اللاتينية في طبعة البندقية عام ١٤٩٨م، و (جاك جوبييل J. Goupyl) إلى اليونانية في عام ١٥٤٨ وترجمة إلى الفرنسية (جاك بوليه J.Poulet) في طبعة باريس ١٨٦٦، و (لوكليز، ولينوار Leclere, Lenoir) في طبعة باريس سنة ١٨٦٦.

ونشر (جرينهيل W. Greenhill) نصه العربي مع ترجمة إنكليزية في طبعة لندن ١٨٤٨.

كما نشر النص العربي مع ترجمة فرنسية عام ١٨٩٦.

وترجمة (كارل أوبتز K.Opitz) إلى الألمانية في طبعة ليبزج ١٩١١.

وكتاب علي بن العباس (ت ٣٨٣هـ) كامل الصناعة الطبية) المعروف بالكناش الملكي الذي ألفه بالعربية في القرن الرابع الهجري، ترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة ١٤٩٢، ثم في طبعة ليدن سنة ١٥٢٣.

وبصريات الحسن بن الهيثم (ت ٤٢٢ هـ) التي ألفها بالعربية في كتاب من سبعة أجزاء بعنوان (المناظر) عرف مع غيره من مؤلفات ابن الهيثم في ترجمات لاتينية بالعصور الوسطى، ونشر (ريزнер Risner) ترجمة كاملة له بأجزائه السبعة عام ١٥٧٣، كما نشر (كارل شوي K.Schouy) بالألمانية عام ١٩٢٠ رسالة ابن الهيثم في استخراج القطب.

وكتاب (الأدوية البسيطة) للطبيب الأندلسي ابن الوفاء نشرت ترجماته اللاتينية نحو خمسين مرة!

وكتاب (التصريف) للطبيب الأندلسي "أبي القاسم الزهراوي" (ت ٤١١هـ) ترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة ١٤٩٧ ثم في طبعتي ستراسبورج سنة ١٥٣٢، وبالم، والجزء الخاص منه بالجراحة كان للتعليم الجراحي بأوروبا لبضعة قرون. وقد نشر نصه العربي مع ترجمة لاتينية في طبعة اكسفورد سنة ١٧٧٨م.

وقاتون (الشيخ الرئيس ابن سينا)، أبي علي الحسين (ت ٤٢٨هـ) في الطب المؤلف بالعربية في أوائل القرن الخامس الهجري، من خمسة أجزاء، ترجمه إلى اللاتينية (جيرار الكريموني) ونشر في طبعات ميلانو ١٤٧٣، و (بادوا Padoa) ١٤٧٦، والبندقية ١٤٨٢. ثم أعيد طبعه حتى بلغت طبعاته العشرين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ونشر نصه العربي في روما سنة ١٥٩٣م.

وكتاب (الشريف الأديسي) (ت ٤٥٧ هـ) تزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي ألفه في صقلية، في القرن الخامس الهجري، كان المرجع الجغرافي الأول في عصر النهضة، ونشرت أجزاء منه في ليدن سنة

معجم في قاعات الدرس لترجمة دروسهم إلى اللغة العربية التي ظلت لغة التعليم الرسمية إلى بداية عصر الاحتلال. ولم يفكر أعضاء البعثات العلمية الأولى (من العرب) الذين أوفدوا إلى فرنسا لدراسة العلوم الحديثة، عند عودتهم إلى بلادهم، من أن يلقوا دروسهم على طلاب المعاهد العربية العليا بلغة أجنبية، بل قدموا إلى مكتبتنا العلمية رصيذاً ذا بال من معرباتهم ومؤلفاتهم.

ألف الجراح الشهير (محمد علي البقلي) كتباً عربية في الجراحة، و (محمد الشافعي) في الأمراض الباطنية، و (محمد ندى) في النبات والحيوان والجيولوجية والطبيعة، والصيديلي (علي رياض) في الصيدلية والسموم، و (محمد السدي) في الجراحة والأمراض البولية، و (سالم سالم) في الطب الباطني، و (محمود الفلكي) في التقاويم والمقاييس والفلك، و (محمد بيومي) في الحساب والجبر والمثلثات والهندسة الوصفية.

وشارك علماء اللغة في هذه النهضة العلمية، فكان منهم خبراء متخصصون في تحرير الكتب العلمية وتصحيحها، منهم (محمد عمر التونسي) مؤلف "معجم الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية" و (إبراهيم الدسوقي) الخبير بمصطلحات العلوم الرياضية، و (رفاعة رافع الطهطاوي) و (أحمد فارس الشدياق) و (المعلم بطرس البستاني) في ألفاظ الحضارة والفنون.

وكان تراث هذا الجيل من العلماء المصريين، بين أيدي المستشرقين العلماء الذين وفدوا على الشام في النصف الثاني من القرن الماضي، وشاركوا في هذه النهضة العلمية بتدريس العلوم الحديثة والتأليف فيها بالعربية.

وقد اشتهر منهم الدكتور (كورنيليوس فاندنيك) الذي درس في بيروت بالعربية:

١٨٦٦م، وفي روما مع ترجمة إيطالية سنة ١٨٨٣م، وفي مدريد سنة ١٩٠١. وترجمة (دي ويه ودوتز M.D.Joeje, R. Doz) إلى الألمانية في طبعة أوبسالا سنة ١٨٩٤م.

ومفردات (ابن البيطار) (ت ٦٤٦هـ) في الأدوية، التي ألفها بالعربية في كتابه "الجامع في الأدوية المفردة" في أوائل القرن السابع الهجري عرفت في نصها العربي بأوروبا في عصر النهضة، وترجمت إلى اللاتينية قبل أن ينقلها (فون زونتهايمر) إلى الألمانية في طبعة (شتوتجارت) (١٨٤٠-١٨٤٢م)، و (لوكليز) إلى الفرنسية في طبعة باريس (١٨٧٧-١٨٨٣م).

ثم لا أمضي في سرد ما أحيا الغرب من ذخائر تراثنا العلمي الذي صد عنها المتفرنجين من متقفيها، كونها من حفريات ماضٍ غبر، ومخلفات موتى أفناهم البلى.

في الوقت الذي يشهد فيه مؤرخو الحضارة الغربيون، من أمثال "سارتون"، وويل ديورانت، والدوميلي، ونلليو، وأماري، وآدم ميتز، ولوبون، ودي بور، وأوليري، وبراون، وكراشكوفسكي، وتوينبي، وسيجريد هونه.. أن هذه الذخائر في أصولها العربية وترجماتها اللاتينية، هي التي أضاعت للغرب مسراه من ظلمات العصور الوسطى إلى عصر النهضة والعلم الحديث.

وأدع تاريخ العصر الوسيط، فأرى لغتنا العربية قد سايرت التقدم العلمي فاستطاعت في فجر العصر الحديث عندنا، أن تأخذ دورها في مدارس العلوم العسكرية والهندسية والطبية والزراعية، في أوائل القرن الماضي. وحين اقتضت ظروف المرحلة الاستعانة بأساتذة من علماء فرنسا، (كلوت بك) الطبيب، والدكتور (فيجري) عالم النبات، كان المترجمون يعربون مؤلفاتهم، ويحضرون

مكاتها في تدريس العلوم والتأليف فيها، ونقل كل جديد مستحدث إلى المكتبة العلمية العربية. لكن الذي حدث هو أن الكليات العلمية في جامعاتنا ظلت بمعزل عن كل تلك الجهود، وتابعت تدريس الطب والهندسة والطببيات والرياضيات.. باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، وكأن الجامعات في واد وجهود العلماء والهيئات في تعريف العلوم الحديثة ومصطلحاتها في واد آخر.

باسنقاء كنية الطب في الجامعة السورية، التي تأسست في دمشق سنة ١٩١٩ ، في عهد الملك فيصل الأول، باسم "المعهد الطبي العربي" لتحل محل كلية الطب التركية، وصممت من عام تأسيسها على تدريس العلوم الطبية بالعربية. وكان مجلس أساتذتها أشبه بجمع لغوي، تدارسوا فيها المصطلحات التي سادت في تراننا من مكتب الطب، وفي الكتب التسمية التي أنفها عماونا، في عهد محمد علي، والكتب التي ألفها أساتذة الطب في جامعة بيروت قبل أن تهجر العربية إلى اللغة الإنكليزية.

واستطاع أساتذة دمشق أن يؤلفوا كتباً قيمة في فروع الطب المختلفة، وفي الكيمياء والفيزياء والمواليد.

فألف الدكتور مرشد خاطر سفرأ في علم الجراحة من ستة مجلدات، وأوجزها في مجلدين.

وألّف الدكتور أحمد حمدي الخياط كتاباً في علم الجراثيم، والأستاذ محمد جميل الخاني في علم الطبيعة، والدكتور حسني سبيح في الأمراض الباطنية (٧ مجلدات) والدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي في الكيمياء.

ولكن هذه التجربة الناجحة في العربية لم تكرر.. بل لم تستطع، بعد أن طال بها الزمن أربعين عاماً، أن تقتنع جامعات

الكيمياء والجويات وعلم الأمراض. وعرفت مؤلفاته العربية: الباثولوجية في مبادئ الطب البشري، والنقش في الحجر (في تسع مجلدات صغيرة، كل مجلد منها موجز في علم من العلوم الحديثة، كالكيمياء والطبيعة والنبات والجيوولوجية والفلك والجغرافية الطبيعية). وله كتب عربية أخرى في الرياضيات، وأصول الجبر، والأصول الهندسية، وأصول علم الهيئة، ومحاسن القبة الزرقاء، في الفلك..

و (الدكتور جورج يوسف) قام بتدريس الجراحة والمواد الطبية والنبات باللغة العربية. ومن مؤلفاته فيها (المصباح الواضح في صناعة الجراح) والأقرباذين والمواد الطبية. ومبادئ التشريح والصحة والفسولوجية. وكتاب من جزأين في مبادئ علم النبات. وقد ألف معجماً قيماً باللغة الإنكليزية في (نبات سورية وفلسطين والقطر المصري ربواديها) ذينه بفهرس للأسماء العربية، فصحي أو عامية، لمصطلحات المعجم، عددها نحو ألف وخمسمائة اسم.

و (الدكتور يوحنا ورتبات) علم في كلية بيروت، التشريح والفسولوجية بالعربية، وألف بها كتب التشريح، والفسولوجية، وحفظ الصحة، ورسائل عديدة في مسائل طبية.

ولا أثر من هذا الجهد السخي المبذول يصل إلى حياتنا العلمية، ودعونا من حياتنا العامة التي التقطت من بعض مصطلحات المعجميين، ما اتخذت منه موضوع فكاهة ومادة تندر..

والمفروض أن جهود العلماء في نشر التراث العلمي لعصر ازدهار الحضارة الإسلامية، واستكمال الحركة العلمية في التأليف والترجمة لمطلع العصر الحديث في النصف الأول من القرن الماضي.. كانت موجهة إلى تمكين اللغة العربية من استرجاع

الإنكليزية أو الفرنسية للعلوم الحديثة، وكأن هاتين اللغتين دون الألمانية أو الروسية أو اليابانية مثلاً، هما المفتاح السحري لكنوز العلم.

وانتهت بكتب (دارمير) للطباعة في موسكو، في عصر غزو القمر.

فأين نحن من البداية والنهاية؟

وحين أقول: انتهت القصة، فإني أعني أنها انتهت، أو يجب أن تنتهي، من حيث هي قضية لغوية ظلت مطروحة أكثر من نصف قرن، تواجه الأمة العربية بدعوى عجز لغتها القومية عن أداء العلوم الحديثة وقصورها عن نقل علوم العصر، وتنقى عليها تبعة تخلفنا العلمي وفاقنا الثقافية..

ويسبق أن يلتمس الباحثون أسباباً أخرى لاستمرار عزل اللغة العربية عن معاهدنا العلمية العالية، بعد أن خرجت دعوى عقم لغتنا وعجزها، من مجال الخصومة والجدل، وظهر بوضوح أننا في تبرير موقف جامعاتنا بهذا العقم في العربية، والتماسنا شتى الوسائل لعلاجها، كنا كمن يحرق في البحر..

وإذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضارية التي جاعتها من الأجانب الغرباء ومن أبنائها المتغربين، تحاربنا باللهجات العامية حيناً وبالخط اللاتيني حيناً آخر، وتتهمها بالبداءة والعقم فتعزلها عن الميدان العلمي لتظل نائية بها عن روح العصر.

أقول إذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات، فلأنها دون ريب تملك من القوة والحيوية والصلاحية للبقاء، ما قاومت به محاولات المسخ ورفضت نبوءة المتنبئين لها بالموت.

مصر وببيروت وأنخراطوم بتعريب كلياتها العلمية.

وكانت المفارقة العجيبة أن جامعة الأزهر، أعرق جامعة إسلامية، وجامعة الرياض، عاصمة الجزيرة العربية، اعتمدتا اللغة الإنكليزية للتدريس فيما استحدثنا من كليات علمية.

وبدا كأن قضية العربية وعلوم العصر، قد وصلت إلى باب مسدود..

ثم كان الفصل الأخير من هذه القصة المعقدة، رسالة من موسكو تحمل مجموعة من الكتب العلمية الحديثة مطبوعة بالعربية الفصحى في (دارمير) للطباعة سنة ١٩٦٨!

ولم نسمع أن لجأت عقدت لبحث مشكلات هذا التعريب، أو أن جدلاً أثير حول صلاحية اللغة العربية لاستيعاب علوم العصر! وإنما خرج كل كتاب يحمل اسم العالم الذي ألفه:

ف. تسيجيلسكي: اللحام الكهربائي.

س. فومين: المرجع لملاحظي عمال الخراطة والعمال الفنيين.

ماليشيف، ونيكولايف، وشوفالوف: أسس الميكانيكا العملية.

أفروتين: أسس تشغيل المعادن.

جلاجوفا: الدوال ومنحنيات.

ما أقسى الدلالة التي تعطيها هذه الكتب العلمية المطبوعة بالعربية في موسكو، بعد كل ما تضخم به رصيدنا من تقارير اللجان ومؤتمرات المجمع وجهود العلماء، على امتداد نصف قرن من الزمان!

وما أبلغ هذا الفصل الختامي لما طال جدلنا فيه وتعددت أزمئتنا به.

لقد بدأت القضية بعزل الاستعمار لغتنا عن العلم، ثم الدعوة إلى هجر لغتنا واستعارة



أَجْمَلُ مَا فِي الْحُبِّ



شعر: أ. جابر خير بك

وأَجْمَلُ مَا فِي الْحُبِّ صَدٌّ وَحَظْوَةٌ
وبعد عن النجوى وقُربٍ من القلبِ
فللقَلْبِ فِي هَجَرِ الْأَحْبَةِ سَكْرَةٌ
تَطُولُ. وللعَيْنِ شَوْقٌ إِلَى الْقُرْبِ
وأَصْفَى الْهَوَى يَحْيَا بِقَلْبٍ مُعَذِّبٍ
وأَصْدَقُهُ مَا فَاضَ مِنْ مَدْمَعِ الصَّبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ صَدٌّ وَرَغْبَةٌ
فَهَلْ يَطْرِبُ التَّشْبِيبُ فِي عَالَمِ الْحُبِّ
وَهَلْ نَفْهَمُ الْأَفْرَاحَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا
بَدِيلٌ. هِيَ الْأَحْزَانُ فِي عَتَمَةِ الدَّرْبِ
أَحَاسِيسُنَا نَصَفًا سَعِيدٌ وَنَصَفُهَا
حَزِينٌ. وَهَذَا الْأَمْرُ مِنْ حِكْمَةِ الرِّبِّ
يَطَوِّحُنَا بَيْنَ السَّعَادَةِ وَالْأَسَى
لِنُؤْمِنَ أَنَّ الْعَمَرَ ضَرْبٌ مِنَ اللَّعِبِ
فَمَا اخْضَرَّ قَلْبٌ فِي الْهَوَى دُونَ لَفْحَةٍ
مِنَ الْهَجَرِ تَدْمِيهِ فَيَمْرُغُ فِي الْخُصْبِ
وَلَا تَغْفُو عَيْنُ الْمُسْتَهَامِ قَرِيرَةً
إِذَا مَا نَأَى طَيْفُ الْحَبِيبِ عَنِ الْهُدْبِ



الشباب

العربي

إلى أين؟؟

بقلم:

هالة الأسعد

الشباب العربي في مرحلة، جزء كبير من حال الأمة العربية، يجب الوقوف عليها طويلاً والبحث في ماهيته، وما كان وما يجب أن يكون وهذا بحد ذاته مسؤولية قومية حول مستقبل الأمة، ونحن نلاحظ في الأبحاث والدراسات شحاً في هذا الجانب من البحث العلمي الذي يدرس الجانب الشبابي من المجتمع رغم أننا نتحدث دائماً عن دور الشباب في نهوض الأمة.

والشباب في مجتمعنا يقع في مرحلة صعبة، مرحلة الماضي القادم من الجهل وفترة استعمار واحتلال، ثم فترة الصراعات السياسية وأحداث متسارعة تمسّ كيان الدولة من أساسه ومرحلة ثانية هي مرحلة الانفتاح على الشعوب وعلى العلوم وعلى ثقافات الغرب والشرق والشمال والجنوب..

وهذا بحد ذاته قد يجعل هناك تصادماً واضحاً في نفسية الشاب إن لم يكن متمكناً من خلفية تربوية تدعم نفسيته وثقافته، كما أن الاحتلال القابع في أغلب المناطق العربية كالعراق وفلسطين وبعض الأطراف الهامة من بقية الدول العربية هذا إن كان إستعماراً مباشراً، إضافة إلى الاستعمار الغير مباشر الواقع على أغلب البلدان العربية بمختلف أشكال الاستعمار القريب منها والبعيد.

كل ذلك يجعل من الشباب في مرحلة خطيرة لا بد من ملاحظتها ودراستها على الأساس العلمي الديموغرافي والإيديولوجي والفيزيولوجي مع كل إضافات قد تتوثر على هذا الشاب من ناحية صعوبة الحياة الحالية ومتطلباتها التي تؤثر على نفسية الشاب بكل جوانبها.

فيعيق إعاقه تامة أو بنسبة عالية من أداء الشباب، أو يخرجهم من أرض الوطن إلى

الأرض ومختلف الحضارات، ودخول الأنترنت على الفكر والتأثير عليه بشكل واضح، مما يجعل الشباب يمتلكون بين أيديهم مجموعة الفكر الحضاري عند البشرية إن شأؤوا استحضارها.

كما لا بد من التركيز على تنشئة الجيل تنشئة صحيحة صحية خالية من الأمراض النفسية والاجتماعية قبل البدنية، ذلك لأن وضع الشباب اليوم قد تغير تماماً وتعقدت أساليب التنشئة والتربية، وما يلاحظ تداخله في هذا الشأن تأثير الأسرة والبيئة والمدرسة والإعلام والمراكز الرياضية والمحيط والأنترنت والكومبيوتر مما يقلص دور الأسرة في بعض الأحيان إلى دور المراقب إن استطاع الرقابة والتوجيه.

لذا لا بد من التأمل ملياً بهذا الشأن ووضع اليد على الجرح في المشاكل الشبابية وإيجاد حلول صحيحة لها، وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة الملاحظة في هذا الشأن إلى توفير المناخ المناسب للشباب للإبداع بأنه ومع جيل الأنترنت وعولمة الفكر والعلم نرى أنه خلق جانبين نقيضين فقد خلق جيل أدعى إلى الإبداع وخلق جناح آخر أقرب إلى التخلخل بنفسيته وانتماء هذا الشاب مما يسعى معه سلبياً نحو امتلاك أخلاقي وفكري وهنا يكمن الخطر.

لا بد للشباب أن يهتدي بهدي الأمة حاملاً رايها في مختلف ميادين الحياة، وأن يسعى ويشعر من ذاته ومن محيطه بمسؤوليته لرسم مستقبل الأمة، وها هم شباب الانتفاضة وأطفال الحجارة قذرة في زمن التراجع.. فتحية لكل من امتشق القلم والسيف دفاعاً عن كرامة الأمة ووجودها ومستقبلها.

الدول الأخرى، كهجرة للشباب بحثاً عن الذات ومصدر الرزق والحياة الأفضل، لتستقبلهم في المهجر آفات وآفات من جميع مجالات الحياة والتوجهات الخطرة التي قد تأتي على غسل الأدمغة الشبابية وبالتالي فقد يتخلون عن أوطانهم مقابل الحياة اليومية والمتطلبات الشخصية والمستقبلية التي قد تأتي بمرود خطر وسلبى على مستقبل الأمة.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أهمية الدور الشبابي واستحضاره في صياغة حركة المجتمعات وحضاراتها وتأثيرهم الأبرز، وإسهاماتهم الفاعلة في تكوين حاضر الأمة والتأسيس لمواجهة التحديات والهموم من خلال تراكمت وتحولات صنعتها أجيال في عصور تاريخية معينة سابقة، وإن أهمية الشباب تجلّى في معاني القوة والقدرة والطاقة التي يحملها في التغيير والتنمية لما يعنيه هذا الجيل من قوة وقدرة وطاقة في استيعاب خصوصية الأمة العربية والدفاع عنها وحمايتها وتنمية جوانبها بما يخدم المجتمع، ويحقق الفاعلية لدوره ووجوده في بناء المجتمع والدولة وبناء المستقبل.

وللتأسيس لهذه الفاعلية ولهذه المرحلة لا بد من عدم إهمال الجوانب الهامشية إضافة إلى دراسة الوضع الأساسي والمتطلبات الأساسية للشباب من جميع النواحي، لإشباع شيء داخلي قد يؤثر على أدائهم بشكل عام، أي لا بد من دراسة الحالة النفسية الاجتماعية والمشكلات التي تعترض الشباب ومحاولة حلّها بالشكل الأسلم المناسب مع متطلبات العصر، وتوازيهم مع الشباب في أصقاء أخرى من العالم، خصوصاً مع وجود هذا التواصل الاتصالي بين مختلف بقاع

خلع العذار

شعر: ابن زيدون

سَقَى الْغِيَاثُ أَطْلَالَ الْأَحْيَا بِهَالِحِي
وَحَاكَ عَلَيْهَا ثَوْبَ وَشِي مُنَمَّ نَمَّا،
وَأَطْلَعَ فِيهَا، لِلْأَزْهَادِ، أَنْجُمًا،
فَكَرَّمُ رَفَعْتُ فِيهَا الْخَرَانِدَ كَالِدُمَى،
إِذِ الْعِيْشُ غَضُّ، وَالزَّمَانُ غُلَامُ

* * *

أَهْيَئْتُمْ بِجَارٍ يَعْزُّزُ، وَأَخَضَّغُ،
شَذَا الْمَسْنُوكِ، مِنْ أَرْدَانِيهِ يَنْضَعُوعُ،
إِذَا جِئْتُ أَشْكُوهُ الْجَوَى لَيْسَ يَسْمَعُ
فَمَا أَنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ أَطْمَعُ،
وَلَا أَنْ يَزُورَ، الْمُقَاتِلِينَ، مَمْنَامُ

* * *

قَضِيْبٌ، مِنَ السَّرِيحَانِ، أُنْمِرَ بِالْبَذْرِ،
لَوَاجِظٌ عَيْنِيهِ مِلْنَنْ مِنَ السَّخْرِ،
وَدِيْبَا جُ خَدْيِيهِ حَكِي رَوْتَقِ الْخَمْرِ،
وَأَلْفَاظُهُ فِي النَّطْقِ كَالْوُلُو النَّثْرِ،
وَرِيْقُهُ فِي الْأَرْتِشِ صَافٍ مُدَامُ



* * *

سَقَى جَنَابَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ الْغَمَامِ،
وَعَنَى، عَلَى الْأَغْصَانِ، وَرَقُ الْحَمَامِ،
بَقَرُطْبَةِ الْغَمَامِ، دَارِ الْأَكْمَامِ،
بِلَادَ بِهَا شَقَّ الشَّيْبَابُ تَمَائِمِ،
وَأُنْجَبَنِي قَوْمٌ، هُنَاكَ، كِرَامِ

* * *

فَكَمْ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ،
بِكُلِّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ، وَضُحَا،
يَفْقَدُ، أَفْوَاهَ الْكُفُوسِ، بِتَفْجَاحِ،
إِذَا طَلَعَتْ، فِي رَاحِيهِ، أَنْجُمُ الْبَرَا،
فَاتَّعَا، لِإِعْظَامِ الْمُسَدَامِ، قِيَامِ

* * *

وَيَوْمَ لَدَى النَّبْتِ فِي شِلَاطِي السَّنْهِرِ،
تُدَارُ عَلَيْنَا الْبَرَا، فِي فِتْنَةِ زَهْرِ،
وَكَيْسَ لَنَا فَرَشٌ سِوَى يَتَاعِ الزُّهْرِ،
يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّيْلِ أَهْيَفَ الْخَصْرِ،
بِفِيهِ، مِنَ الشُّغْرِ الشَّيْبِ، نَظَامِ

* * *

وَيَوْمَ بِجَوْفِي الرُّصَافَةِ مُبْهِجِ،
مَرَرْنَا بِرَوْضِ الْأَقْحُوانِ الْمُدْبِجِ،





وَقَابَلَنَا فِيهِه نَسِيمُ الْبَنَفَسِ جِ
وَلَا حَ لَنَا وَرَدَّ كَخَدُّ مُضَرَّرَجِ
نَرَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامُ

* * *

وَأَكْرَمَ بِأَيَّامِ الْعَقَابِ السَّوَالِفِ
وَلَهُوَ أَتَرْتَاهُ بِتِلْكَ الْمَعَاظِفِ
بِسُودِ أَثْبَثِ الشَّعْرِ بِبِضِ السَّوَالِفِ
إِذَا رَقَلُوا فِي وَشْيِ تِلْكَ الْمَطَارِفِ
فَلَيْسَ عَلَى خَلْعِ الْعِذَارِ مَلَامُ

* * *

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ الْعَقِيقِ وَجَسْرِهِ
فَعَدْنَا عَلَى حُمُرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ
وَوَلَّيْنَا يَسْتَقِينَا سُلَافَةَ حُمْرِهِ
حَكَى جَسَدِي فِي السَّاقِمِ رَقَّةَ خَصْرِهِ
لَوَاحِظُهُ عِنْدَ الْبُرُوتِ سِهَامُ

* * *

فَقُلْ لِمَ زَمَانٌ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ
وَرَثْتُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي رُسُومُهُ
وَكَمْ رَقَّ فِيهِ بِالْعَشِيِّ نَسِيمُهُ
عَلَيْكَ مِنَ الصَّيْبِ الْمَشُوقِ سَلَامُ

* * *



سورة

التاريخ
الجمالية
تفتح ذراعيها لاستقبال
من كافة أنحاء



مع تحيات وزارة الاملا

الثقافة

نشرين اول ٢٠٠٣ م

سورية

الأوابد تحكي



والتاريخ .. يزهو

وزارة الإعلام

المؤسسة العربية للإعلان

طالعوا صباح كل سبت

الأسبوعية

الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق